لأجلك

عبير عبد الشكور

الطبعة الأولى يناير ٢٠٢٠

الكتاب : لأجلك

المؤلف : عبير عبد الشكور

تدقيق لغوي : هدير محمود

تصميم الغلاف : محمد دربالة

رقم ايداع: 2019 - 22101

ترقيم دولي: 978-977-85556-3-9

دار مسار للنشر و التوزيع

01020439639

massar.pub1@gmail.com

ش - حسن خطاب - قسم يوسف بيك
- الزقازيق - الشرقية

عبير عبد الشكور

لأجلك

مسار
للنشر و التوزيع
Massar publishing & Distribution

إهداء

إلى من أهداني الأسى، وكسر بقايا الفؤاد، إلى من علمنا كيف نسير بين دروب الحياة نبحث عن النجاح، لكل من راهن على فشلنا، فنحن أقوي من خيباتكم.

إلى نبض الحياة، وسندى بالوجود والدتي العزيزة دمتي نعمة.

إلى كل من فقد الأمل في الحياة، وفقد الشغف لتحقيق أحلامه الأسهل ليس الأجمل يا عزيزي،

عش في تلك الحياة ملكًا، ولا تجعل لليأس مكانًا بداخلك فأنت القوة، والحياة، لا تمت قبل موتك وفقكم الله دائمًا وأبدًا.

١) أموات على قيد الحياة:

في ظلمت الليل الجامح ينظر للسماء، والنجوم تتلألأ يرسم أحلامه على لوحة السماء، ويلونها بضي القمر، فيرى أن المستقبل، والسبيل لتحقيق أحلامه هو السفر. ليوقظه من أحلام يقظته صوت أبيه الذي يتدور ألمًا، فينظر بإمعان إلى واقعه، حياة من الذل والهوان يطغوا عليها الفقر، والجهل، والجوع، والاحتياج.
فشاب في مقتبل العمر مثله أبسط حقوقه الشرعية أن يحيى حياة كريمة ليوفر قوت يومه؛ فينظر نظرة ثاقبة لوالده النائم، الذي تتوعك صحته، وتأخذ في التدهور، تهزل بسرعة كأنَّها كرة تثقب فقد تمكن المرض اللعين من جسده. فيحول مروان بصره في أرجاء المنزل، يجده خاويًا لقد ابتاعوا كل شيء لتغطية تكاليف مرض أبيه فلم يبقى سوى أريكة وبضع أثاث الورقات أمتن صلابة منه!
يحول ببصره فيرى والدته تشغل حيزًا من فراغ الغرفة نائمة بجوار والده ترعاه سيدة من التراث القديم يظهر على ملامحها علامات الشقاء من العمل في الصباح في منازل أهل القرية، وفى

المساء تبتاع الخضراوات أمام المنزل. يأخذ أنفاس تقطع شرايين قلبه الواهن استياء لحالهم، ليرى أخيه ابراهيم، والذي غلب عليه النوم من شدة الإرهاق فيعمل كعامل بناء حتى يدخر مصاريف الدراسة فهو طالب في الصف الثاني الثانوي!

وينظر إلى نفسه محدثها:

- وأنت أنظر إلى نفسك شاب في العشرين من عمرك، وماذا فعلت؟ تركت الجامعة لأنك لم تستطع التوفيق بينها، وبين مصاريف مرض والدك. أعتذر لكم جميعًا، سامحني يا أمى لم أرد قط أن أتركك في المذلة لكل من كان، ولكن ليس بيدي شيء فذلك المرض اللعين لا يأكل جسد والدى فقط، ولكنه يقتل مشاعرنا جميعا وأموالنا وتفكيرنا لعنه الله عليه، وعلى تلك الظروف اللعينة، أنا عاجز عن تحمل المسؤولية. . . لِمَا لَا أسافر؟-.

وجد الملاذ الوحيد في السفر لبلاد أوروبا، الهجرة الغير شرعية هي الحل الأمثل ظلت الفكرة تراوده، ويعلم ما لها من تاريخ طويل رافقه الكثير من سفك الدماء، وسقط بسببها الكثير من القتلى، تذكر صديقة أحمد الذي لقى حدفه في حادثة كهذه هو وثلاثون شاب آخر زهرة الشباب لقوا مصرعهم كانوا غذاء جيد للأسماك، وظلمة اليل الجارح ضحية للفقر، والجهل، وقوانين عمياء وتجار البشر.

محدثا نفسه:
لن أخسر الكثير إذا كتبت لي النجاة سأعمل جاهدًا لأنقذهم من ذلك الضياع. . . ثمَّ صمت قليلًا متنهدًا وإن مت فإنه قدري، توافر غذاء شخص، وأنال الراحة الأبدية من تلك الحياة اللعينة.
ظلت الفكرة تراوده أيام، وشهور يبحث عن الطريق إليها حتى ذلك اليوم الذي تحدث فيه مع صديقه أحمد قائلا:
- مروان:
الأمور ليست على ما يرام، وما أجنيه من العمل هنا لا يكفى عشاء يوم.
- أحمد:
لا تقلق الأمور ستصبح بخير أدعو الله، وابحث عن عمل آخر.
- مروان:
للحصول على عمل أفضل يجب إنهاء الدراسة الجامعية، وأنت تعلم لقد تركت كليه السياحة والفنادق لضيق الحال، الحل في السفر.
- أحمد: مستنكرًا ما يسمع!
السفر؟ أين؟ وتترك أسرتك في هذه الحالة!
- مروان: في غضب.
كل هذا العناء لأجلهم!

- أحمد:

من الواضح أنَّك اتخذت القرار النهائي، ولا معنى لحديثي؟

- مروان:

أعذرني لقد ضاق بي الحال، أشعر بالاختناق هنا الهجرة هي الحل، ولكنى لا أعرف كيف الوصال.

- أحمد:

هل تتذكر عبدالحميد ؟

- مروان:

من يكون؟!

- أحمد:

زميلنا في الجامعة، ولكنَّه كان يكبرنا بعامين، ذلك الشاب الذي سافر العام الماضي عن طريق البحر، والوحيد الذي نجى، وظلت البلدة تتحدث عنه لفترة طويلة، وأطلقوا الأساطير فمنهم من روى أنَّه صار طعامًا للأسماك، ومنهم من روى أن الماء ألقت بجسده بعيدًا عن الميناء، ولكن لمْ يخطرْ ببال أحد أنَّه نجى، واكتشفت الحقيقة بعد ثلاثة أشهر من اختفائه بعدما أرسل لأسرته المال، وخطاب بخط يده يخبرهم أن العناية الإلهية قد أنقذته، وقام قارب صيد يحمل اثنين من الصيادين بإنقاذه من الموت، وبعد أن استرد عافيته وفروا له فرصة عمل، وهو الآن بخير، وسيعود في أقرب فرصه معتذرًا منهم لما فعله.

- مروان:
نعم تذكرته، ما خطبه!
- أحمد:
لقد عاد أمس، ويبدو عليه مظاهر الترف، وأصبح يملك قطعه أرض يقيم عليها صرحًا تجاريًّا رأس المال المستثمر فيه يتخطى الخمسة مليون جنيه.
- مروان:
وما شأني بذلك، لا تخبرني أن أنتظر حتى يتمم مشروعه للعمل به.
- أحمد:
ليس كذلك، عبد الحميد يساعد الكثير من الشباب للسفر، ولا يأخذ الكثير من المال.
- مروان:
في سخرية، مال أي مال لا أملك سوى جنيه واحد، أريد السفر، ولكنِّي لا أستطيع اتخاذ هذه الخطوة المخيفة بمفردي.
- أحمد:
لا تقلق، دعنا نطلب مساعدته، ولنرى ما سيحدث.
ظل أحمد قرابة يومين يقنع أحمد بمقابلة عبد الحميد، وبالفعل نجح في ذلك، وإن كان مروان غير مقتنع بذلك.
يجلس أحمد، ومروان، وعبد الحميد، والصمت يخيم على المكان

ليقطعه أحمد قائلًا:
حمد لله على سلامتك، أتتذكرنا كنا زملاء بالجامعة.
- عبد الحميد:
نعم أتذكرك لا يمكن أن أنسى تبرعك لي بدمك عندما أصبت بحادث فأنا أدين لك بحياتي يا أحمد.
- أحمد:
الفضل لله وحمد لله على سلامتك، أعطاك الله العمر المديد!
- عبد الحميد:
من الواضح أن زيارتكم ورائها أمر مهم، كيف لي تقديم المساعدة؟
- أحمد:
هذا مروان صديقي بحاجه إلى أن يسافر، وليس لديه نقود.
- عبد الحميد:
ينظر لمروان في شفقة قائلًا:
تكاليف السفر باهظة لا تقدر على ثمنها، ولكن لا تقلق من الممكن أن تسافر بنصف المبلغ عن الطريق البحر، وأنت تعلم المخاطر.
- مروان: في خجل شديد:
مهما كانت المخاطر المهم أن أسافر، كم سيتكلف الأمر؟!
- عبد الحميد:
من أجلك أنت في حدود ٣٠ ألف جنيه.

- أحمد ومروان في نفس اللحظة:
يا إلهي!!
- عبد الحميد:
لدى اقتراح قد لا تكون في حاجة للسفر بعده، ولكنِّي لا أعلم أن كان سينال استحسانك، أم لا.
- مروان:
والحيرة تأكل عقله ما هو ؟
- عبد الحميد:
لدى طبيب صديقي في حاجه لمتبرع بكلى مقابل ١٠٠ألف جنيه، فلتذهب أنت ربما يحالفك الحظ وتكون الشخص المناسب ووقتها تأخذ المال، وتبدأ باستثماره هنا بدلًا من المخاطرة بحياتك دون مقابل.
- أحمد:
صارخًا في غضب:
مستحيل تريد أن يبتاع جسده ليحيا!
- عبد الحميد:
أمرك عجيب أنت هنا لتساعده أن يلقى بنفسه في أحضان الموت، وبالإضافة يدفع المال، والآن تغضب من عرض سيحي بعده مرتاح البال، وأن كان العرض مغامرة، فيفوز باللذة كل مغامر.
ساد الصمت لدقائق. . . والذي قطعه مروان قائلًا:

موافق متى سألتقي به ؟!

- أحمد:

هل فقدت صوابك؟!

- مروان:

لما لا، عبد الحميد محق في كل حرف نطق به.

في صباح اليوم التالي فى تمام التاسعة صباحًا مروان بجانب الطبيب أشرف، والذي يصحبه لإجراء الفحوصات اللازمة لمعرفة هل ستطابق أنسجته مع الحالة، أم لا.

الخوف يسيطر على قلبهِ، ويرى الحياة ملونة بالأسود، يشعر بأنَّ العالم يحيط به، ويطوقه، وأن الأفق يضيق كضاغط الشرايين، يشعر وكأنَّه نوع من أنواع النفايات الإنسانية العابرة تنكر الحياة وجوده عليها، لقد سمع وقع أقدام الموت على هدى من ذبذبات ينكرها البشر، أغمض عينيه وسلم نفسه للطبيب كالدمية يضعها أينما يشاء مر أسبوع على ذلك اليوم البائس، عبد الحميد يهاتف مروان طالبًا مقابلته.

ذهب مروان متلهفًا لمعرفة النتيجة، فيخبره عبد الحميد أن العينات متطابقة، وبعد أسبوع ستتم العملية، ولكن يجب أن يقضى الأسبوع في المستشفى تحت الرعاية الطبية، وبعد شهر منها سيغادر البلاد كما يشاء.

يخرج عبد الحميد ثلاثين ألف جنيه قائلًا:
هذا جزء من المبلغ، وباقي المبلغ بعد خروجك بالسلامة.
يأخذ المال مبتسمًا بسخرية من ترتيبات القدر محدثًا نفسه:
تعددت الأسباب، والموت واحد.
طلب من عبد الحميد الإذن بالانصراف؛ ليجهز نفسه، ويدبر أكذوبة لأسرته يبرر بها غيابه.
الساعة الثانية من منتصف اليل يخبر مروان أخيه بما اهتدى إليه طالبًا منه أن يساعده في ابتداع أكذوبة ليجده يصرخ بوجهه قائلًا:
هذا جنون، نعم ظروفنا تعجيزية، ولكننا أفضل من كثيرين لمْ يصلْ بنا الحال لتبتاع جسدك مقابل المال أنَّه أمانة من الله هذا حرام!
- مروان:
ضاحكًا في استهزاء، والدموع تملأ مقلتيه!
الحرمانية في حياتنا، أموات على قيد الحياة.
- إبراهيم:
مجرد أوهام في عقلك الواهن، بالعمل وإن كان دخله قليل سنحيى لن يتركنا الله كذلك دوام الحال من المحال يا عزيزي، ابحث عن العمل أيًّا كان المقابل تدريجيًّا ستتغير حياتك بالعمل، والجد، والدنا شفاه الله، وعافاه، وجميعنا على يقين أن حالته

ميؤوس منها المرض في مرحلته الأخيرة ولا جدوى للأدوية بشيء كلها مسألة وقت فقط!

- مروان:

هذا قراري النهائي لقد انتهى الأمر، لا تضيع وقتك، أرجوك لا تخبر والدينا بالأمر كل ما أتمناه أن لا تتركني بمفردي غدًا سأذهب للمستشفى للاستعداد للعملية، هذا المبلغ دعه معك لمصاريف المنزل، ولا تترك والدتنا تذهب للعمل بعد الآن حان الوقت أن ترتاح، وأنت أيضًا تفرغ لدراستك، سأخبر والدتي أنِّي مسافر للعمل في إحدى المدن السياحية، وسأعود بعد فترة وسأعود بعد أن أتماثل للشفاء حتى لا تنتبه عليَّ شيء. . . . تصبح على خير.

- إبراهيم:

أي خير ما ستفعله جريمة في حق نفسك، وحقنا.

لمْ يعي مروان اهتمام، وترك النقود على المنضدة ثمَّ خلد إلى النوم، كل ذلك وإبراهيم فاقد النطق لا يستوعب ما يحدث، وكمية اللامبالاة التي لديه.

بعد مرور أسبوع يقف أحمد، وإبراهيم، وعبد الحميد، واثنين آخرين يبدو أنَّهم أهل الحالة التي ستنقل إليها الكُلى أمام غرفة العمليات في أجواء يخيم عليها الخوف، والحزن يمر الوقت ببطئ شديد، ساعة تليها الثانية، وكأنَّها سنوات مرت الساعة الثالثة تليها الرابعة وبعد خمسة ساعات خرج الطبيب يخبرهم أن العملية

تمت بنجاح ومتلقى الكُلى في حالة جيدة، ولكن المتبرع (مروان) تعرض لنزيف حاد أدى إلى إصابته بغيبوبة، ولذلك سيتم نقله للعناية المركزة، وإن شاء الله سيتماثل للشفاء في أقرب وقت، تسرب القلق إلى قلوبهم، يرى إبراهيم أخيه ملقى أثناء خروجه من غرفة العمليات، وقتها أدرك أنَّه لنْ ينجو من الموت، أنَّه يحتاج إلى معجزة إلهية.

مر يومين لمْ تذقْ جفون ابراهيم النوم، ولو للحظة يلقى باللوم على نفسه لما لمْ يمنعه يدخل عبد الحميد، وأحمد، وشخص أخر تبدو عليه علامات الثراء ألقوا التحية يتسأل أحمد عن ما وصل إليه مروان ليخبرهم إبراهيم ليس هناك جديد الوضع يزداد سوء.

- عبد الحميد:

أعرفك بالمستشار محمد بيه والد الذي أنقذ مروان حياته بتبرعه له يود أن يشكرك بنفسه.

- المستشار محمد:

أدين لأخيك بحياتي شفاه الله وعفاه.

يخرج من معطفه ظرف، ويعطيه لإبراهيم قائلًا:

تفضل هذه هدية بسيطة حتى يتعافى أخيك، لكنَّه لم يقصد هدية، ولكنَّه استحى أن يخبره أنَّه ثمن أخيه، وباقي المبلغ المتفق عليه.

- إبراهيم:

ينظر إليه باستنكار قائلًا:
تقايضني على ثمن أخي لن أأخذ شيء، لعنه الله عليكم جميعًا، وعلى تلك الظروف، والفقر أغربوا عن وجهي.
أحمد يعتذر منهم، ويطلب منهم الرحيل الآن ملتمسين له قلقه على أخيه، وأخذه منه الظرف، وسيظل معه حتى يهدأ إبراهيم، ويتعافى مروان.
مر أسبوعين، ومروان يصارع الموت، وإبراهيم يلعن تلك الحالة المزرية التي وصلوا إليها يشعر بالعجز، والإهانة، وهو ينفق النقود التي تركها مروان لكن اشتد المرض على والده، والأدوية لا تجدى نفعًا حتى فارقته المنية مِمَّا جعل ابراهيم ينهار فقد إحساسه بالحياة أشتد حزنه على والده، ولكن عزائه الوحيد أن الله رحمه من عذاب المرض، ووالدته تشكي ابنها العاق(مروان) مستنكره عدم حضوره، وكل الأكاذيب التي يختلقها إبراهيم واهية، مر أسبوع آخر، ومروان في غيبوبته.
تلك الظروف جعلت من إبراهيم شخص قرر التمرد على الفقر، واليأس فعاد إلى عمله، وحرم مال أخيه عليه فقد مات من كان ينفقه لأجله، وبدأ مشروعه الخاص فكان يدخر بعض المال اشترى به مجموعة من الدجاج الصغير، وخصص غرفة في المنزل للعناية بها.
مر شهر ونصف، والأمل في شفاء مروان يتلاشى، ولكن إبراهيم

لمْ يقنطْ من رحمه الله ، وبدأ إبراهيم في بيع الدجاج لمعارفهم، واكتسب مبلغ ليس بقليل، ووقتها قرر أن تترك والدته العمل، والتي عادت إليه بعد وفاة زوجها عندما حرمت على نفسها مال مروان غضبًا منه فقد كتبت له في ذلك الخطاب الوهمي الذى يوهمها ابراهيم أنَّه يرسله إلى مروان أخبرته أنَّها لا تريد ماله فقد هان عليه والده، وستهون هي يومًا ما، وأمرته أن يكف عن الإرسال، وقد إدخر إبراهيم المتبقي من المبلغ في البنك باسم مروان حتى يشفيه الله، فقرر إبراهيم أن تكف عن العمل لدى الناس، وتعزز في بيتها، وتراعي الدجاج حتى يركز في دراسته فقد اقتربت الامتحانات، وليكبر المشروع فقد اشترى هذه المرة أعداد أكبر، وظل هكذا يبتاع، ويشترى، وأصبح يصدر الفراخ لكبرى المطاعم في البلدة، وأصبح الربح يتزايد، وقد قرر أن يشترى منزل جديد أكثر أدميَّة مليء بالأثاث لم تأكله مياه الشتاء بعد، وبرودته لم يأكل أثاثه الفقر، والجوع، وبالفعل انتقلوا إلى المنزل الجديدة تنظر والدته إليه تشعر أن الله يعوضها عمَّا مرت به طيلة حياتها، ولكنَّها تفتقد مروان، وشعرت أنَّها قست عليه فلم يعد يراسلها تلك الخطابات الوهمية التي كان يرسلها إبراهيم.

خصص إبراهيم منزلهم القديم لمشروعه، وذلك بعد أن اشترى قطعه الأرض المجاورة له، وتمَّ تجهيزها حتى تصبح جاهزة للمشروع بشكل أكبر فقد اشترى عدد من الجاموس، والأبقار،

والأرانب، وخصص لكل منهم مكانه، وأصبح ما تنتجه من ألبان يتم تصنيعها لمنتجات لبنية، وغذائية تحت إشراف والدته بمساعده أشخاص آخرون يعملون معها، ويساعدوها، وأصبح يبتاع منتجاتها للناس في المدينة، ولأكبر المتاجر.
إصرار إبراهيم على النجاح، وإدخار المال في فترة وجيزة لا تتجاوز الثمانية أشهر جعل والدته فخورة به لأقصى حد، ولكنَّه تجاهل دراسته فأجل الدراسة هذا العام فالصف الثالث الثانوي يحتاج للتفرغ التام، والمذاكرة فأجلها حتى يتفرغ لها العام القادم حتى يستطيع تحقيق حلمه. . .

-الحياة غير عادلة فعود نفسك عليها-.

فاختار العمل، والمال عن الدراسة، و الفقر، فمن أجل المال يصارع أخيه الموت.

الساعة الثانية بعد منتصف اليل يدق أحمد الباب، فإذا إبراهيم يمتلكه الفزع عندما راه متسائلًا ماذا هناك؟

- أحمد:

أعتذر منك لمجيء الآن.

- إبراهيم:

لا عليك تفضل بالدخول، ما الأمر!

في غرفة إبراهيمن والصمت يخيم على المكان فيقطعه أحمد قائلًا:

أعتذر منك عمَّا حدث مع مروان، لكنها كانت رغبته، ولم أستطع منعه.
- إبراهيم:
حدث ما حدث لن يفيد الكلام الآن.
- أحمد:
الطبيب المعالج له أخبرني أنَّه لم يستطع التحدث أمس عندما رأك تبكي ممسكًا بيد مروان، أخبرني أن صحته باليه، خائر القوى، ولا داعي لبقائه متصل بالأجهزة، والمستشار محمد أيضًا حدثني بعد أن أخبره الطبيب بحالة مروان، وأخبرني أنَّه لمْ يتكلف بعد الآن تكاليف المستشفى فقد تحملها كاملة منذ العملية ولمْ يعدْ يستطيع تحملها أكثر من ذلك دون جدوى، فالوضع يزداد سوء -يضع ظرف على المنضدة- هذا حق أخيك أنت بحاجه إليه، ينصحني الطبيب أن نوقف العلاج حتى.... ثمَّ يصمت ووجهه في الأرض.
- إبراهيم:
أصمت هل جننت؟ أنت تحرضني على قتل أخي، وأقبض الثمن!
يفتح باب الغرفة فجأة وتظهر والدته قائلة، والدموع تملأ عينها:
ماذا حدث لابنى؟ أين مروان؟
- إبراهيم:
-في عمله يا أمى كما تعلمين.

تنظر له تكذبه بنظراتها، وكأنَّها كشفت أمره قائلة:
ولما أحمد هنا الآن؟ ولما لا يحدثنا مروان؟
- أحمد:
لقد أرسلني مروان لكم بالمال حتى يكبر إبراهيم مشروعه، وسيأتي في أقرب وقت.
الأم، والدموع تسبق كلماتها:
لما الكذب أين مروان؟
- أحمد:
أنا أسف مروان يصارع الموت في المستشفى!
- الأم:
-ابني، ومصطحبتها صرخة مزقت قلبها، ووجهت حديثها لإبراهيم، والذي صاحبه صفعة قوية على وجهه لما لمْ تخبرني تحيى حياتك، وكأنَّ شيء لمْ يكنْ، أريد أن أذهب لابني حالا.
- إبراهيم:
في الصباح سأصحبك لهناك.
- الأم:
ليس في العمر بقية، الآن، وإلَّا سأذهب بمفردي.
- إبراهيم:
كما تشاء يا أمي.
طيلة الطريق الأم صامته بينما يسرد لها إبراهيم ما حدث

بالتفصيل، وأنَّه لمْ يخبرها؛ لأنَّها كانت رغبة مروان.
الساعة السادسة صباحا، الأم في الممر أمام غرفة مروان تصلي، وتناجى الله أن يشفيه فإذا بها تسمع أصوات وحركه غير طبيعية في حجرة مروان، ويخرج الطبيب، ويخبر إبراهيم أن مروان فارق الحياة.

٢) بداية جديدة:

إنهار إبراهيم في مكانه، والدموع تنهمر على وجهه كشلال متدفق بينما الأم لمْ تفارق السجادة بينما طالت السجدة ظلت تدعي بالله، وهى تبكي، وعلى يقين أنَّه لنْ يخذلها أبدًا، مر عشر دقائق وما زالت الأم ساجدة فإذا بالممرضة تخرج مسرعة من الغرفة لإحضار الطبيب ليأتي للغرفة، ولا يجد إبراهيم تفسير لما يحدث خمس دقائق، وخرج الطبيب، والأمل في عينيه قائلًا:
حمدًا لله لقد استعاد مروان النبض مرة أخرى لقد كتب له حياة جديدة، الآن هو في حاجة لدعواتكم.
إبراهيم حمدًا لله!
الأم ختمت الصلاة، وهي تشكر الرحمن فلمْ يكسر فؤادها.
بعد مرور ثلاثة أيام، والأم تجلس بجانب مروان تقرأ القرآن، وتصلي، وتناجى الله باكية إذ بها تسمع صوت مروان يناديها أمي، لم تصدق نفسها، فهرولت تنظر له لا يتحرك له ساعد كما هو ظنت أنَّها فقدت صوابها، أمسكت بيده وتقرأ القرآن فإذا بيده تتحرك، وينادى أمي ببطئ شديد تنظر إليه ها هو ابنها

يتحدث، وعينيه مغلقتين أسرعت بالنداء إلى الطبيب.
- الطبيب:
حمدًا لله على سلامته! لقد اجتاز الموت بأعجوبة، غدًا سيتم نقله إلى غرفة أخرى.
- الأم:
حمدًا لله!
تصلى الأم ركعتين شكرًا لله عز وجل، مر أسبوع على ذلك اليوم الذي ردت فيه الروح لوالدته، وإبراهيم، والذي كان يتردد بين المستشفى، والعمل، ومروان يسترد صحته بتقدم ملحوظ، وهائل, يدخل المستشار محمد وعبد الحميد مهنئين مروان، ووالدته على تعافيه يخبره عبد الحميد أن مكانه في السفر جاهز متى يشاء، ليجد والدة مروان في غضب قائلة:
أي سفر ابنى لن يتركني مرة ثانية، شكرًا لزيارتكم أتركونا، وشأننا, مما جعلهم يغادرون في الحال، بعد أن استأذنوا بالانصراف.
مروان في خجل شديد:
لما قلتي هذا يا أمي، أنا بحاجه إلى السفر.
- الأم:
أي سفر، لم أعاقبك على فعلتك بعد، ولكنِّي لا أستطيع الصمت أكثر من ذلك، أنت شخص ضعيف، وجبان، وفاشل اخترت الطريق الأسهل، وهو الموت، والاستسلام للظروف، لقد وجهت الموت،

و ما زلت لا تفكر إلَّا بحالك، الآن سأخبرك، بما حل بنا بغيابك، لا أنتظر سأتركك ترى بأمَّة عينك غدا الفرق بينك، وبين أخيك. . لقد وقعت كلماتها عليه وقع الصاعقة، ثمَّ تركته، ورحلت لمْ تخبره بعد أن والده توفى.

في صباح اليوم التالي يقف مروان، وإبراهيم، ووالدته أمام منزلهم القديم فيتسأل مروان:

أين المنزل هل تنازلتم عنه؟

- إبراهيم مبتسمًا:

لا هذا ملك لنا بالأرض المجاورة لما عليه من خير، هذا مشروعنا.

- مروان:

كل ذلك فعلته بالمال الذي تركته لك؟

- إبراهيم: في خجل شديد!

لا يا أخي لمْ أقترب من مالك هذا من عملي، وجهدي، النقود لمْ أتصرف بها سوى القليل أثناء مرض والدنا، وتكاليف العزاء.

- مروان: والدموع تختلط في عيناه!

عذاء من؟ أمي لقد أخبرتني أن والدى بأفضل حال!

- الأم: وجهها بالأرض باكية!

ودع والدك الحياة بعد اختفاءك بأسبوعين، غضبت منك كثيراً أنَّك لمْ تحضرْ مراسم الجنازة، لم أكن على علم بما مررت به، ولكن قلبي كان يحتضر في غيابك، ويشعر بأنَّك في محنة.

- إبراهيم:
هيا بنا الآن لمنزلنا.
- مروان:
أي منزل؟
- إبراهيم:
لقد استأجرت منزل جديد، ولكنَّه سينال إعجابك واثق من ذلك.
- مروان:
من الواضح أن غاب عنى الكثير من الأمور.
- إبراهيم: مبتسمًا
في المنزل سأخبرك بكل شيء.
الساعة السادسة مساءً بينما يجلس مروان، وأسرته على مائدة الطعام في حين يثني مروان إعجابه بالمنزل، وعلى ما فعله إبراهيم من مواقف باسلة، وتحمله للمسؤولية فيدق باب المنزل، يرفع مروان بصره ليرى فتاة قصيرة القامة بيضاء ذات وجه بيضوي بسيطة الملامح تقف مبتسمة قائلة:
حمدًا لله على سلامتك!
- الأم:
ندى حبيبتي، تفضلي.
- ندى:
شكرا لك أمي الغالية!

- إبراهيم:
تفضلي يا ندى.
مصطحبها حيث جلست ثمَّ التحق به مروان، ووالدته وذهب إبراهيم ليحضر واجب الضيافة.
- ندى: بدموع يملأها الحنين، ودموع الفرحة قائلة:
-حمدًا لله على سلامتك، ما زلت غاضبة منك، وساخطة عليك، ولكن كثيرًا ما نجيت الله لحمايتك حتى قبل أن أعلم ما حدث.
- الأم:
كيف وصلتك الأنباء؟
- ندى:
أحمد قبل السفر أخبرني بكل شيء، لما فعلت بنفسك ذلك؟
- مروان:
لن يغير الحديث شيء، فلنترك الماضي يرحل بما فيه من آلام.
- الأم:
المهم أنَّه عاد إلينا مرة أخرى.
- ندى:
حمدًا لله، ولكن المهم الآن، ماذا ستفعل؟ والأهم أن تتعلم من خطأك ليس اليأس، والاستسلام هم الحل، ألم تشعر بالخجل من نفسك مِمَّا فعله إبراهيم تحمل مسؤولية الأسرة، والدراسة، والعمل، ومسؤوليتك أنت نفسك، ألم تتسأل كيف استطاع التوفيق

بين كل ذلك، لقد ضحى بمستقبله من أجلك، ألم يحن الوقت أن تتحمل بدلًا منه المسؤولية، وتنهي دراستك، وتجعله يتفرغ لتحقيق حلمه، لقد انتهت كل الحجج الواهية لقد تحسنت الأحوال.

- مروان:

-وما فائدة التعليم، إبراهيم حقق ذاته، ولم ينهي دراسته بعد.

- ندى:

إبراهيم لمْ يكمل الدراسة لفترة مؤقتة أوقف حياته من أجلكم، والآن الدور عليك، تعلم من إبراهيم يحلم بكلية الطب لا تكن أناني.

أنا، وأحمد انهينا الدراسة العام الماضي، وأنت ماذا فعلت؟

- مروان: بلهجة تهكن:

ماذا فعلتي مع حسام، حسام على ما أتذكر!

- ندى:

نعم، كان يدعى حسام.

- مروان:

كان! ماذا تعنى من المفترض أن تكونوا تزوجتم من شهر مضى.

- ندى:

للقدر حسابات أخرى.

الأم تنظر لإبراهيم لينصرفوا، وتترك مروان، وندى بمفردهم.

- مروان:
بسخرية! ماذا حدث؟
- ندى:
سأخبرك بكل شيء.
تعود ندى بذاكرتها، وصوتها يغلبه الحزن وهى تتذكر مأساتها:
ليس كل ما نراه نصدقه ففي بعض الأوقات قد تكون الحياة مجرد حلم جميل، وقد ينتهى بكابوس، سأظل أعاتب نفسي طيلة حياتي على ما فعلت، ربما كان من الأفضل أن أصبح أكثر شراسة، وحيطة من ذلك، ربما الأفضل العزلة عن الناس فلم أجني سوى الشر حتى وأن زرعت الخير فبذور الشر خالدة في الجذور.
ظلت ندى تُحدث نفسها، وهى هائمة في وجه السماء تفكر فيما يجب أن تفعل فالخطوة القادمة تحتاج لمزيد من التفكير، صوت يناجيها من بعيد إذ هي والدتها.
- والدة ندى:
هيا ابنتي لقد تأخر الوقت يجب أن نغادر، ونترك خطيبك وأسرته إنَّه وقت النوم.
- ندى:
هيا بنا يا أمي.
- والدة ندى:
أين حسام؟ لما أنت بمفردك؟ أين ذهب؟

- ندى:
يتحدث في الهاتف، سيأتي الآن هيا بنا نحن.
- والدة ندى:
ألم تنتظري أن تودعيه!
- ندى:
لا يا أمي، هيا بنا الآن سيغضب أبي إذا تأخرنا عليه.
في جو من الترحيب، وتبادل جمل المجاملات الشهيرة ودعت ندى، وأسرتها أسرة حسام خطيبها التي تتكون من الأم، والأب وولدين يصغران أحمد بعامين.
في تمام الساعة الثانية صباحا بينما ندى غارقة في نومها يهاتفها حسام
- ندى:
ألو، كيف حالك ؟
- حسام:
كيف تغادري قبل أن تخبريني؟
- ندى:
لاحظت انشغالك بالهاتف حتى أنَّك لم تتذكر وجودي تركتني ساعة كاملة بمفردي.
- حسام:
لا تغيري الموضوع.

- ندى:

هذا أساس النقاش، لقد تغير كل شيء فيك، حسام للمرة الأخيرة سأقولها لك إن فقدت حبك لي، دعنا ننهي الخلاف بشكل حضاري، وليذهب كل منَّا في سبيله، لمْ يعدي سوى القليل على زفافنا، والوضع يزداد سوء بيننا.

- حسام:

لما الداعي للحزن الآن، أنا أحبك وأنت تعلمي ذلك، ولكنك تتجاهلي طلبي.

- ندى:

أي طلب؟ أن أغضب الله عز وجل أن أكسر ثقة أهلي بي، أن أرخص نفسى لك، أن أضرب بعرض الحائط الدين والعادات والتربية التي تلقيتها، وفى مقابل ماذا؟ أخبرني لمْ يعدْ سوى شهر على زواجنا لِمَا كل هذا الإلحاح، ألَّا تستطيع الصبر.

- حسام:

لما هذه الدراما لقد أسأت الظن بي، كل ما طلبته أن نخرج بمفردنا بعيدًا عن جو العائلة.

- ندى:

لا أكمل طلبك، نلتقي بمفردنا في المنزل الذي نجهزه لحياتنا الجديدة فبدلًا أن نجهزه بالخير، والبركة نبدأ حياتنا بمعصية، لا تبرر الأمر لا يجتمع رجل، وامرأة إلا وثالثهما الشيطان.

- حسام:
تعطى الأمور أكثر من حقها، حتى وأن حدث شيء أنت زوجتي.
- ندى:
لقد انتهى النقاش في هذا الأمر، وللمرة الأخيرة سأحظرك يجب أن تنتبه لتصرفاتك معي، وإلَّا كل منَّا في طريق. . . . في رعاية الله.
أغلقت الخط قبل أن يجيب عليها ثمَّ انهارت من البكاء فهي أصبحت متيمة به، لقد داوى جرحها الذي سببه مروان عندما تخلى عنها، وضحى بها فوقف بجانبها حتى عشقته حد الجنون، ونست حبها لمروان، ولكن لا يمكن أن تغضب ربها لأجل حبها!
في صباح اليوم التالي تجلس ندى ووالدها على الطاولة لتناول الإفطار فينظر لها مبتسمًا قائلًا:
من الواضح أن المشكلة كبيرة.
فنظرة إليه في خجل:
عفوًا منك، ماذا تقصد؟
- والدها:
أقصد عينيك، لا تغادري من المنزل كذلك.
- ثمَّ قام، واحتضنها قائلًا:
أثق بك، وأعلم أنَّك لن تفعلي سوى الصواب لا تجعلي أحد يهدم سعادتك، أؤيدك في قرارك الذى تتخذيه.

الساعة الثالثة عصرًا يدق هاتف ندى:
- حسام: ندى أعتذر منك لما بدر مني أمس، لقد حدثني مهندس الديكور بحاجه ليلتقي بنا ساعة وسأؤتي لأصحبك لنذهب إليه.
- ندى:
حسنًا، سأطلب أذن أبي، وسأكون بانتظارك.
- حسام:
والدك ما شأنه أنا خطيبك، وأمرك بذلك.
- ندى: وتعتريها الصدمة!
تأمرني، ولكنِّي ما زلت في منزل أبي، ومهما بلغت من العمر حتى بعد زواجنا سيظل والدي مسؤول عني.
- حسام:
لا تكثري الكلام ساعة وسأكون أمامك، وأغلق الهاتف دون أن ينتظر أن تنهي كلامها، مرة ساعة، وكان حسام أمام منزل ندى بسيارته، تلقى ندى التحية وتجلس بجواره، وعيناها متضخمة من البكاء.
- ندى:
ما الأمر؟
- حسام:
سنلتقى به الآن، ونعلم ما الأمر، ما خطب عينيك؟ كنت تبكي؟
- ندى:

لا الأمر بسيط، أنت تسبب لي ضغط نفسى غير محتمل!
- حسام:
أنا يا عزيزتي لِمَا، لقد اعتذرت عمَّا بدر مني أمس.
- ندى:
أنا أحبك جدًا، ولا أستطيع التخلي عنك، ولكنك أصبحت قاسي جدا، تبدلت مشاعرك تجاهي أترجاك أن لا تضعني في وضع الاختيار بينك، وبين راحتي (تقول ذلك، ودموعها تسبقها)!
حسام ممسكًا بيدها، ويعتذر منها، ويحاول التقرب منها أكثر فأكثر فلا يجد منها إلَّا أنَّها أبعدته قائلة:
هل جننت ماذا تفعل؟
فلم تجد سوى صفعة على وجهها، تلحقها الثانية مصاحبة بعبارات:
لقد دللتك بما يكفي، أنتِ ملكي تفعلي ما أريده وصفعها مرة أخرى!
تنظر له في دهشة لا تصدق ما يحدث حملت نفسها مهرولة إلى المنزل. . . حاول أن يتصل بها كثيرًا بعدها، ولكنها لا تجيب، خشي أن تخبر والدها بما حدث فاتصل بوالدها، فاكتشف أنَّها لم تخبره، وأستغل ذلك وأخبر والدها أن ندى تفتعل المشاكل، ويراوده الشك أنَّها عادت لحب مروان مرة أخرى، فاستمع والدها إليه بكل هدوء ثمَّ قال له:

سأحدثك في وقت لاحق.
الساعة التاسعة مساءً الأب يدق باب غرفة ندى، فتسمح له بالدخول وكانت دارت وجهها بالغطاء وادعت أنَّها ستخلد للنوم فكانت آثار الضرب ما زالت على وجهها.
فأزاح والدها الغطاء ليجد عيناها مغلقة من كثره البكاء، وآثار الضرب جن جنونًا صارخًا، هو من فعل ذلك؟
- ندى:
أبي أرجوك أحمني منه ساعدني أنا أعشقه، ولكن بعد ما حدث لا أستطيع الزواج منه، أعلم أنَّه لم يعد سوى وقت قليل على الزواج، وكل ترتيبات العرس جاهزة، وكلام الناس، ولكن. . . .
قاطعها الأب، وهو يحتضنها قائلًا:
ليذهب هو والناس والعرس والجميع للجحيم، أهم ما لدي هو سعادتك حمدًا لله أنَّه كشف أمره الآن، كل ما أطلبه الآن أن تسترخي، وغدًا سأخلصك من هذا الكابوس لا تقلقي يا طفلتي، والآن أخلدي إلى نومك، ثمَّ طبع لها قبلة على وجنتيها، وغادر.
في صباح اليوم التالي حسام وأسرته يجلسون مع والد ندى في منزله فقد دعاهم على الغداء (لم يفصح عن نيته بعد).
- والد حسام:
سعيد بلقائك اليوم!

- والد ندى:
أنا أسعد، لحظة واحدة.
تخرج ندى وفي يدها صندوق متوسط الحجم، ينظر حسام لأبيه وللصندوق يقف والد ندى، ويبدأ في سرد ما فعله حسام مع ندى، وما طلبه منها ثمَّ ينظر لوالد حسام متسائلًا:
إن كان لديك بنت هل تقبل بذلك؟ انظر إلى وجهها، ويد ابنك التي ما زلت محفورة على وجهها، لمْ أمتْ بعد، ليفعل ذلك بها.
والد حسام، وهو يتصبب عرقًا:
لا مستحيل، أعتذر منك، ومن ندى اِقبلي اعتذاري يا ابنتي!
- والد ندى:
لقد انتهى وقت الاعتذار، الآن سينتهى كل شيء بشكل ودي، هذه كل هدايا ابنكم.
- والد حسام:
لا يستطيع أحد القاء اللوم عليك!
- والد ندى:
يبقى شيء واحد فقط لنا عندكم.
- حسام: والغضب يندلع من عينيه!
و ما هو؟!
توجه إليه والد ندى، وصفعه على وجهه ثلاثة صفعات متتالية، مِمَّا أثر غضب حسام، وجعله يتفوه بالسباب، واللعن فأخذه

والده ووالدته، وغادروا المنزل.
- والد ندى:
والان يا ابنتي لقد انتهى هذا الكابوس، ويجب أن تحذفي هذه الفترة من حياتك، وكأنَّه لمْ تكنْ، لقد اتخذت القرار الصائب.
أنهت ندى حديثها، وهي تبكي، وتنظر لمروان.
مروان: وعيناه تملأها الدموع، والقسوة في أنن واحد قائلًا:
أنت من اختارت لمْ يجبرك أحد على اختياره، وتركتني لأجله، والآن تعودي إلى البديل.
كلماته وقعت عليها وقع الصاعقة، ويكمل حديثة بسخرية:
لقد أحزنتني ما حدث، لقد كان شخص مناسب مستوى مادي، واجتماعي، وطبيب له مستقبل باهر ليس مثلي فقير، وفاشل ألمْ يكنْ هذا رأيك، ألا تتذكري.
- ندى: في ثبات، وقوة:
نعم أتذكر حديثي جيدًا، كما أتذكر جيدًا، أنا لا استطيع فعل شيء، أمضي في حياتك وسأضحي من أجلك بقلبي، حسام شخص جيد اِذهب إليه، وسأرضى بنصيبي من المعاناة في فقدانك.
أتتذكر هذه الجملة كما أتذكرها جيدًا أتتذكر لما قلتها لا أعتقد أنَّك تتذكر عندما أخبرتك أنِّي سأنتظرك، ولكن عاهدني أن تحاول لأجلى عد للدراسة، وللعمل أتتذكر في الحقيقة أنَّك ضحيت بي، وليس من أجلي، أنا هنا الآن زيارة المريض صدقة ليس لأنَّك

بديل!
- مروان:
شكرًا لزيارتك، ولكي الأجر، والثواب.
- ندى:
تجربتك لمْ تغيركْ كثيرًا فما زالت ضعيف، وفاشل.
وترحل، وتغلق الباب خلفها، كلمات ندى حركت بداخله مشاعر الغضب، والسخط على نفسه أنَّها محقا أنَّه اختار الأسهل، والآن ماذا سيفعل؟ بينما كان يفكر كانت والدته تسمع حواره مع ندى، ولم تتدخل فكل كلمة قالتها حقيقية كان بحاجه أن يصفعه أحد، ويعيده لثوابه، وهذا ما فعلته ندى!
٣) ترانيم الحياة:
بعد مرور شهر يقف مروان بين العمال يتابع العمل، يشعر بالسعادة والنجاح لقد اكتشف أنَّه أخطأ حين ألقى بفشله، وعجزه على الظروف، ولمْ يأخذ بالأسباب، ويسعى بينما يفكر، وينظر للعمل بفخر ليجد إبراهيم يحتضنه فجأة قائلًا:
أخي الحبيب كيف تسير الأمور؟
- مروان:
كل شيء بأفضل حال لا تقلق، لقد تعلمت كافة الأمور ثق بي، أنت تنسى أنِّي أنا الأكبر ركز أنت فقط في الدراسة.
- إبراهيم:

لا تقلق أذاكر جيدًا، وقدمت ورقي لِالتحق بالمدرسة هذا العام، وحان وقتك أن تعود للجامعة مرة أخرى.
- مروان:
أخي أي جامعة، والعمل هل سنتركه كذلك هو أحق بوقتي.
- إبراهيم:
يا أخي هو عام واحد، وستنهى الدراسة الجامعية، لا يستحق الأمر كل هذا العناء أنت تذهب لمحاضراتك، وفي ذلك الوقت سأباشر أنا العمل حتى تأتي، وهكذا نبدل معًا ووالدتي على دراية كافية بالعمل، وتستطيع إدارته في وقت الامتحانات لا تختلق الأعذار الشهادة الجامعية مهمة جدا.
- مروان:
وما فائدتها نحن نكسب المال بدونها.
- إبراهيم:
-يا عزيزي التعليم يمهد أمامنا الطريق لأشياء أكبر، وأشمل هل تريد أن نقتصر على هذا المشروع فقط يجب أن نطور من نفسنا أكثر لننجح أكثر.
- مروان:
ماذا تقصد ؟
- إبراهيم:
أنت تثق بي ؟

- مروان:
أكيد أكثر من نفسي!
- إبراهيم:
إذا انصت لي غدًا تذهب للجامعة، وتقدم الأوراق المطلوبة، صدقني دراستك ستفيدنا في مشروعنا القادم ثق بي سأخبرك بكل شيء في الوقت المناسب.
بعد مرور شهرين منذ ذلك اليوم مروان، وإبراهيم يتسامرون ليلًا، وهم يذاكرون ففي الصباح مروان لديه امتحان نهاية النصف الأول في الجامعة، وإبراهيم يذاكر، فسأله مروان:
تظن أنِّي سأتخرج؟
ليجيبه إبراهيم مبتسمًا:
ولِمَا لا؟ أنت تذاكر بجد.
تدخل الأم، وفى يدها كوبين من القهوة لتساعدهم على التركيز، فتدعي الله أن يبارك فيهم، وفي مجهودهم ليتباركوا بقبلة على جبينها، وتنصرف داعية الله لهم بالتوفيق.
في صباح اليوم التالي، مروان في لجنه الامتحان تجلس بجواره فتاة في قمة الجمال، والرقي تركز في ورقة الاختبار، وهو أيضًا فكل ما يشغل باله هو النجاح لكي يثبت لأسرته، ولندى أنَّه تغير، وليس بفاشل كما وصفته، أنهى مروان الامتحان، وقد أدى بشكل ممتاز خرج من اللجنة وهو يشعر بالتفائل فينظر

بالكتاب ليطمئن ليسمع صوت يرتطم من خلفهِ، وكأن شيء ما انفجر، فينظر خلفه في فزع أنَّها الفتاة الرقيقة التي كانت تجلس بجواره، فأسرع عليها يحاول أيقظاها ولكنَّها فاقدة للوعى تجمع الناس حولهم فما منه إن حملها، وذهب بها إلى الطبيب بداخل الجامعة يحاول الطبيب. . . أيقظاها، وبعد محاولات استعادة وعيها شكرت الطبيب، ومروان.

- مروان:

أنتِ بخير الآن، معك أحد من صديقاتك تأتي لتصحبك؟

البنت، والتي تدعى (حنين):

لا للأسف ليس لدي صديقات.

- مروان:

سأصحبك إلَّا أن يأتي أحد من أهلك لاصطحابك.

- مروان :محدثًا الطبيب:

ما الأمر؟

- الطبيب:

مجرد هبوط بسيط، ويوجه كلامه إليها، أنتِ تعانى من مرض، تتناولين أي أدوية.

- حنين:

أنا مريضة كُلى ربما حدث ذلك بسببها.

- الطبيب:
يجب مراجعة طبيبك.
- حنين:
بإذن الله.
مروان يتابع كل ذلك، ولفت انتباه عيناها التي اجتذبته يشعر فيها بالبراءة، أثرته منذ اللحظة الأولى!
- حنين:
شكرًا لكم سأرحل الآن.
مروان، وحنين يجلسون أمام الجامعة في انتظار والد حنين الذي هاتفته، وأخبرته بما حدث يجذب مروان أطراف الحديث معها.
- مروان:
أنا أيضا مريض كُلى، ولكن ليس مرض أنا متبرع كُلى.
- حنين:
حقيقي ما تقول، أنت شخص نبيل للغاية، لقد حييت شخص آخر، بارك الله لك!
- مروان:
لِمَا هذا الانبهار، والسعادة ؟
- حنين:
أنا أشعر جيدًا مدى حاجة إنسان لمتبرع ظللت فترة طويلة أبحث عن متطوع حتى أرسل الله لي ملاك من السماء، وتبرع لي وبفضله

بعد الله أحيا حياة سعيدة.

- مروان:

شفاك الله، وعافاك، وبارك الله له!

- حنين :

لأول مرة أراك هنا.

- مروان:

بالفعل لأنِّي أكبركم بعامين، وأجلت الدراسة لظروف خاصة.

- حنين:

والآن الحال أفضل؟

- مروان:

حمدًا لله، عدة أشهر، وأنهي التعليم نهائيًّا.

يقف رجل بسيارة أمامهم، ويتجه مسرعًا نحو حنين، ابنتي هل أنت بخير حمدًا لله على سلامتك!

- حنين:

أبي أهدأ أنا بخير اِسمح لي أن أعرفك بزميلي هو من اصطحبن للطبيب، ورفض أن يتركني قبل أن تأتي.

- والدها:

شكرًا لك يا بني، بارك الله لك!

- مروان:

عفوًا، بارك الله في عمركم!

مروان ملقى على سريره يفكر فيما حدث، وجهها وهي نائمة بريئة كالملائكة، طفلة رقيقة ظل هائمًا يفكر فيها حتى أنَّه لم يشعر بإبراهيم الذي يجلس بجواره مبتسمًا، فلم يشعر به إلَّا عندما صفعه على وجهه مازحًا معه، فانتفض من مكانه قائلًا:
من أين جئت أنت؟
- إبراهيم: لا يستطيع أن يوقف الضحك قائلًا:
جئت من الباب ذلك، اعترف ما سر انشغالك، ما سر تلك البسمة البلهاء على وجهك؟
- مروان:
السر في ابتسامتها عيناها، براءتها!
- إبراهيم:
والامتحان ماذا فعلت، ولما تأخرت؟
- مروان :
رقتها، حيائها!
- إبراهيم:
الامتحان أحدثك عن الامتحان.
- مروان:
-حنين، وهي حنين لكل شيء جميل.
- إبراهيم:
من الواضح أنَّك سقطت في فخ الحب.

- مروان:
حب أي حب لقد فقدت عقلي، أصبت بالجنون.
- إبراهيم:
مبتسمًا أخبرني بما حدث يا روميو.
يروى مروان ما حدث معه بكل تفاصيله، فيضحك إبراهيم ويخبره أنَّه في مرحلة خطر الآن يجب أن يركز في مستقبله في البداية وقتها لمْ يكنْ هناك عائق لخطبتها.
في صباح اليوم التالي يباشر مروان العمل فيلاحظ أن بعض الحيوانات يبدو عليها المرض، فانزعج كثيرًا للأمر في الثروة الحيوانية هي سر سعادتهم، فأتصل مسرعًا لإحضار الطبيب، والذي أخبره أن هناك فيروس أصاب الحيوانات، ونصحه بذبحها قبل أن يتمكن الفيروس منها ما زال المرض في البداية سيكتب لها جرعة علاج تأخذها، وسيقضى على المرض، ولكنَّه سيعود مرة أخرى، فينصحه أن يتم ذبحهم حتى لا يخسر كثيرًا.
اتصل مروان بأخيه ليأتي ليتشاوروا فيما سيفعلون، إبراهيم يطمئن مروان أن كل الأمور على ما يرام، وأن الحيوانات ستتعافى أولًا، وبعد ذلك سيتم ذبحها، وبيعها.
- مروان :
وكيف سنبيعها، ولمن؟

- إبراهيم:
أخى لا تنسى أننا نصدر لأكبر المطاعم في القرية، والمدينة، وهناك الكثير من الفنادق والمطاعم طلبت منا أن نرسل لها لحوم، ولكننا كنا نرفض لأننا لا نتاجر في اللحوم، ونستغل الماشية لإنتاج منتجات الألبان، وها نحن الآن توافر لدينا اللحوم لمْ نخسرْ شيئًا لا تنسى أن الماشية لدينا تتكاثر ذاتيًّا، فلسنا بحاجة أن نشترى أخرى، والحيوانات المريضة ليست بكثيرة.
- مروان:
وماذا سنفعل الآن ؟
- إبراهيم:
سنعزل الماشية المريضة عن الباقي حتى لا يصاب بالعدوى، ويتلقوا العلاج بشكل صحيح، والطبيب يراعي حالتهم كل يوم، الطبيب أخبرك المدة التي يتنولوا بها الجرعة ؟
- مروان:
أسبوعين، ولكن افترض أنَّهم لمْ يستجيبوا للدواء، وتوفوا.
إبراهيم:
يا الله على التشاؤم! -تفاءلوا بالخير تجدوه-، وإن حدث فذلك قضاء الله ليس بيدنا سوى نحمد الله!
- مروان:
من أين هذا الهدوء؟! الخسائر ستكون هائلة.

- إبراهيم:
أمامنا أسبوعين نحضر فيهم المكان.
- مروان:
أي مكان؟
- إبراهيم:
ذلك المحل الذي سنبيع فيه اللحوم الخاصة بمزرعتنا، لحوم إنتاج محلي، وطازجة.
- مروان:
يا لها من فكرة، ولكن كذلك المال سينقص التكاليف ستكون باهظة.
- إبراهيم:
وها هو المطلوب أتقي الله في عملك، وأقضى عملك على أكمل وجه، وسيكفأك الله، ما فائدة المال، وهو لا يعمل أنت تنظر تحت قدميك لا تنظر للأمام، المال سيأتي بمال أكثر، لا تقلق سأدرس الموضوع جيدًا.
يدق هاتف مروان إذ به رقم دولي فيجيب مروان:
السلام عليكم؛ من المتحدث؟
- المتحدث:
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، مروان أنا أحمد.

- مروان: ويعتري صوته الفرح!

أحمد أين أنت، كيف حالك، أفتقدك جدًا.

- أحمد:

حمدًا لله على سلامتك أعلم أنَّها متأخرة كثيرًا، ولكنك إن علمت ما حدث معي ستلتمس لي ألف عذرًا.

- مروان:

ما الأمر يا عزيزي؟

- أحمد:

أشتاق إليك كثيرًا، وإلى أمي كثيرًا، أعانى من قسوة الغربة ليتنى لمْ أسافرْ.

- مروان:

لقد شغلت بالي كثيرًا أنا لا أعلم أين سافرت، أو متى استعدت وعي، وكل ما علمته أنَّك سافرت، ما الأمر أخبرني يا صديقي، هل تحتاج لشيء؟

- أحمد:

أنا في بلد عربية دفعت كل ما أملك لكي أسافر بشكل شرعي تجنبا لمخاطر الهجرة الغير شرعية، هنا ذقت مرارة الذل بكل أنواعه، أحادثك الآن، وأنا ملقي في أذقه الطريق لقد طردوني من عملي، ومن السكن لا أملك درهمًا واحد، ولم يكتفوا بذلك أخذوا مني جواز سفري يرفض منحي إياه. . . . ثمَّ ينهار في البكاء،

ويستأنف حديثهُ، لا أعلم أين أذهب كل معارفي يهربون مني الكل هنا يفكر في نفسه فقط ، حتى عمي أغلق باب منزله في وجهى قائلًا: اذهب لا أريد مشاكل.
- مروان: والحزن يخيم على صوته!
لِمَا كل ذلك، ولِمَا تركت عملك؟
- إبراهيم: والحسرة في صوته!
لم أتركه لقد طردوني؛ لأن زميلي المصري بدلًا أن يكون سند لي، هو من تسبب في تشريدي لقد أوشى بي بالكذب ليأخذ بدلًا منى، هل تعلم ماذا أعمل؟ أنا أعمل عامل نظافة أنظف المِرْحاض، والشوارع، وفي المقابل لا شيء، ولم أرفض، وأحمد الله قائلًا يومًا ما ستتحسن وأعمل بشهادتي، لا أعلم ماذا أفعل ووالدتي لن أستطيع أن أرسل لها المصروف الشهري التي تعيش منه أنت تعلم ليس لها غيرى بعد زواج إخوتي البنات.
- مروان:
آلو. . . . انقطع الاتصال، والحسرة ترسخت في قلب مروان، والقلق تسرب إلى قلبه، ماذا يفعل وأين يذهب؟ حاول الاتصال بأحمد مرة أخرى، ولكن الهاتف مغلق.
لم يجد بيده سوى أن يذهب لوالدة أحمد، ويخبرها أنَّه بخير، وعزم الأمر على ذلك. . . .
في مساء ذلك اليوم يدق مروان منزل أحمد لتفتح سهى أخته

فتاة في آواخر العشرينات من عمرها، فألقى عليها مروان التحية، واصطحبته للداخل حيث تجلس والدتها، والذي فوجئ مروان بمرضها!

- مروان:

كيف حالك يا أمي؟

- والدة أحمد:

مروان كيف حالك يا ابنى؟، أنا بخير إرهاق بسيط العمر كبرت يا بني، البركة بكم أنتم أيُّها الشباب.

- مروان:

أنا بخير يا أمي، بارك الله في عمرك!، من يرعاك يا أمي، ما رأيك أن تأتي تجلسين مع والدتي، وتتركي بناتك كل منهم في منزلها، وأولادها.

- والدة أحمد:

بارك الله لكم يا بني!، سلامي لوالدتك، ولكن سهى منذ طلاقها، وهي ترعاني، وتجلس معي.

- مروان: ينظر لسها في تحسر قائلًا:

متى حدث ذلك، ولِمَا؟

- سهى:

حدث بعد سفر أحمد بشهر واحد، وحتى الآن ليس لديه علم بالأمر، لم أستطع التحمل أكثر من ذلك كان يعاملني بمنتهى

القسوة، والإهانة في المرة الأخيرة تسبب في فقد الجنين الذي طالما انتظرته، وأصبت بارتجاج في المخ منذ ذلك الحين، وقررت الانفصال، حريتي تستحق الكثير.

- والدة أحمد:

-كثيرًا ما أخبرتها أنَّه حتمًا سيتغير، وسيعوض عليها الله في طفلها، ولكنها لمْ تسمعْ لي، أهل القرية لمْ يتركونا، وشأننا، افتعلوا الكثير من القصص بسبب طلاقها بالرغم أنَّهم كانوا شاهد على تصرفاته الغير سوية.

استشعر مروان بالحرج، فأخرج ظرف، وأعطاه لوالدة أحمد ففيه مبلغ كبير من المال قد وضعه بنفسه لمساعدتهم بدون أن يشعروا، وأخرجه بنيه الصدقة، وأخبرها أن أحمد من أرسله.

يهم مروان بالرحيل فإذا بباب المنزل يدق بعنف تفتح سهى، وهي خائفة قائلة من؟

وكانت المفاجأة أنَّه خالد زوجها السابق يصرخ في وجهها قائلًا:

من هذا الرجل الذى تواعديه سرا؟

ودفعها بقوة متجها للداخل ليجد مروان يقف بغرفة والدتها المريضة تعتريه الدهشة، فيفاجئ بلكمة مباشرة من خالد، ويصحبها تساؤلات :

من أنت؟ وكيف تجرأ على المجيء في غياب رجل المنزل؟

- مروان:
يحافظ على هدوءه احترامًا لحرمة المنزل، أنا صديق أحمد، وهو من طلب مني الحضور لهنا حتى أوصل أمانته لوالدته، أنَّك لم تتذكرني بسبب غضبك، وانفعالك، أنا مروان كنت مصاحب لأحمد وقت تجهيز عرسك أنت وسهى، أنا من أوقع شاشة التلفاز يومها، وأنت طمئنت أنَّه لا يهم سأتأتى ببدل منها، كنت في قمة الهدوء، والرزانة ماذا حدث؟!
- خالد: بعد أن هدأ روعه، وشعر أنَّه أخفق في تصرفه.
-نعم تذكرتك، ولكن هذا ليس مبرر لوجودك هنا في ذلك الوقت.
- مروان:
هذه والدتي، وأختي، وأحمد من طلب منى الحضور، أرى أنَّه ليس هناك مبرر لوجودنا هنا، هيا بنا لنسوي أمرنا في الخارج.
كل ذلك، وسهى تبكي لما فعله، وأثناء خروج مروان، وخالد استوقفتهم سهى قائلة:
أن تكرر هذا مرة ثانية سأطلب لك النجدة، لا أريد رؤية وجهك مرة ثانية. . . . أشتد غضب خالد، ولكن أوقفته دموع سهى، فأخذه مروان، وغادروا المنزل
أستحبه مروان، وبدأ يتحدث معه في هدوء.
- مروان:
لقد أساءت الظن بها.

- خالد:
ليس من شأنك، أنَّها زوجتي حتى، وإن انفصلت عنها.
- مروان:
من الواضح أنَّك ما زلت تحبها.
- خالد: ويحنو على صوته الحزن!
ما زلت أحبها؟ إنِّي أعشقها حد الجنون!
- مروان:
يا لها من مشاعر جميلة!، ولكن لما تسيء معاملتها إذن؟، هل أخلاقها غير سوية؟
- خالد:
أصمت أيُّها الوغد هل جننت؟ أنَّها أفضل امرأة على وجه الأرض.
- مروان:
أنت تحبها، وهي أفضل امرأة على الأرض، إذن أين المشكلة، أنت قتلت طفلك بيدك!
- خالد:
-لم أقصد أبدًا قتل ابني، بالعكس كثيرًا ما دعيت الله أن يرزقني إياَّه، لكنى أغار عليها بجنون، ليس انعدام ثقة، ولكن حب (يسترد حديثه، وقد خانته عيناه، وظل يبكي).
ذلك اليوم وجدث رقم مجهول يحدثها، وأجابت عليه، ولم تخبرني؛ مما آثار غضبى، وجعلت الظنون تذهب بي؛ لأنَّها تحدث عشيقها،

لم أشعر بنفسي إلَّا وأنا اقف بها في المستشفى، وهي غارقة في دمائها، ثمَّ التزم الصمت، وهو يبكي!

- فتسأل مروان:

وبعدها ماذا حدث؟

- خالد:

-ساومتني والدتها إمَّا أن أطلقها، أو سأسجن جراء المحضر التي أجرته المستشفى حيال وصولها في حالة ميؤوس منها، خشيت على نفسي من السجن، وانفصلنا.

- مروان :

وعشيقها؟

- خالد:

أي عشيق! بعد أسبوع من البحث وراء رقم الهاتف تأكدت أنَّه مجرد رقم اتصل بالخطأ، ونست أن تخبرني، أو كانت ستخبرني، ولكنِّي سبقتها، وبحثت في هاتفها.

- مروان:

ولما لمْ تعتذرْ منها، وتصلح ما أفسدته !

- خالد:

لا تتقبل كلمة واحدة منى كثيراً ما سعيت لإصلاح الأمر، ولكن كل محاولاتي باءت بالفشل، سهى تكرهني.

- مروان مازحًا:

لا أستطيع لومها، فما رأيته منك لا يدل على الحب إطلاقًا، ما فعلته يزيد الأمر سوء، ولكن لحظة كيف علمت بوجودي هناك!

- خالد: في خجل

هناك من يراقبها، ويبلغني بجميع تحركاتها، أخشى عليها من نوايا البشر السيئة، وعندما أخبرني أن هناك رجل غريب في المنزل جن جنوني، وحدث ما حدث.

- مروان:

أنت شخص ناضج، ومهندس لك مكانتك في المجتمع، كيف تتصرف تلك التصرفات الصبيانية؟ أما زلت تريدها؟

- خالد:

يا ليت يحدث ذلك.

- مروان :

أتسمح لي بمساعدتك؟

- خالد:

أنت تتحدث بشكل جدي؟

- مروان:

بالطبع سهى في مكانة أختِ الكبيرة، وأريد سعادتها، وأحمد أخي، وصديقي، ما لا تعلمه أن أحمد يمر بضيق شديد أدعو الله له أن يعود إلينا سالمًا، وهذا واجبي، والآن يجب أن أخذ منك وعد

بأنَّك ستنفذ كلامي، ولا تتصرف أي تصرف جنوني دون اللجوء لي.
- خالد:
أنا متشكر لك جدًا بارك الله فيك!، أوعدك سأغير كل ذلك، كل ما أريده سهى فقط.
- مروان:
حسنًا أنصت لي جيدًا، أولًا: يجب أن تكف عن مراقبتها.
ثانيًا: بعد يومين سأصحبك إلى هناك مع باقة من الزهور ستحملها في يدك، ونذهب لنطمئن على والدة أحمد، وتعتذر عمَّا بدر منك، هل لديك مشكلة في ذلك؟
- خالد:
ليس اعتراضًا، ولكن أنا أراقبها لحمايتها.
- مروان:
أنت تسبب لها القل، والضغط النفسي ذلك ستظن أنَّك لا تثق بها، ونحن نريد تعزيز الثقة بينكم، وتلك هي أولى خطوات التغيير أن تمنحها الثقة، والحرية.
(الغيرة دليل الحب، ولكن إيَّاك أن تصبح كالدبة التي قتلت صاحبها).
- خالد:
أنا أثق بها، ولكن لا أثق في الناس.

- مروان:

سهى ليست بطفلة مراهقة، هي إنسانة مثقفة، وناضجة بِمَا فيه الكفاية لتستطيع حماية نفسها، وتضع الحدود بين الناس، يا خالد رجاء اِمنح الفرصة لك، ولها أن تبدؤوا من جديد.

- خالد:

حاضر أنت محق، أعتذر منك لما بدر مني منذ قليل!

- مروان:

لا عليك، الآن اذهب إلى منزلك، وفكر جيدًا في حديثنا هذا رقم هاتفي سأنتظر اتصالك، والآن يجب أن أرحل لقد تأخر الوقت، ولدي امتحان غدًا.

- خالد:

شكرًا لك، في رعاية الله!

في صباح اليوم التالي ينتظر مروان أمام لجنة الامتحان فلا يزال ساعة على بدأ الامتحان، فيجد من يقول: معذرة منك.

ينظر خلفه ليجدها حنين ترتسم على وجهه ملامح الفرح، والابتسامة البلهاء قائلًا:

مرحبًا، كيف حالك؟؛هل أنتِ بخير؟، كيف حال صحتك؟، صباح الخير، أقصد كيف الحال؟

تبتسم حنين في حياء قائلة:

مهلًا، كلها نفس المعنى، أنا بخير، كيف حالك أنت؟

- مروان:
أنا بخير، كيف حال المذاكرة؟
- حنين:
هناك بعض الأشياء لا أفهمها، هل تساعدني فيها ؟
- مروان:
أنا تتلعثم منه الكلمات أقصد نعم بالطبع.
وأخذ يفسر لها ما ينقصها، وحنين معجبة بطريقة مروان في الشرح ربما عدم فهمها مجرد خدعة للبقاء معه، والتقرب منه، ولكنَّها فجأت بأسلوبهِ الرائع!
مروان، وحنين أثناء الامتحان يسرقوا النظرات خلسة لبعضهما، ويركز كل منهما في إجابته، حتى انتهى وقت الامتحان، وخرج كل منهم يراجع مع الآخر، وهم يطلقون الضحكات، وفجأة ظهر والد حنين جاء لاصطحابها للمنزل، فاعتذرت من مروان قائلة:
حان وقت الرحيل، ألقاك في الامتحان القادم إلى اللقاء.
- مروان: مبتسمًا يحدث نفسه:
إلى اللقاء أميرتي الصغيرة سأنتظرك على أحر من الجمر!
- والد حنين:
تلك الشاب الذي نقلك للطبيب.
- حنين:
نعم يا أبي.

- والد حنين:
أتذكر أنِّي رأيته قبل تلك المرة، ولكن لا أتذكر أين!، وأتذكر أنِّي تشكرته على موقفه النبيل، فلا داعي للاختلاط به.
- حنين:
أنَّه زميلي، ولم يصدر منه أي تصرف خاطئ، أنا لمْ أفهمْ بعض الأشياء، وطلبت منه تفسيرها وتحدثنا بعد الامتحان ليطمئن ماذا فعلت، ليس إلَّا أنت لا تثق بابنتك!
- والد حنين:
طفلتي الجميلة، أنا أثق بك كثيرًا، ولكني أخشى من الشيطان، وأيًّا كانت أخلاق الشاب فإنَّه شخص غريب عنك، لديكِ زميلاتك استشيريهم عوضًا عنه.
- حنين:
ماذا تعني يا أبي؟
- والد حنين:
عزيزتي لا يجب أن تنشأ علاقة بين شاب، وفتاة تحت أي مسمى، ولا يكون بينهم حوار إلَّا في حدود آداب الإسلام قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
- إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، والْحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وعِرْضِهِ، ومَنْ وقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وقَعَ فِي الْحَرَامِ. . . . . - متفق عليه.

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتمنى أن تستوعبي حديثي.
- حنين:
فهمت يا أبي أعتذر منك، وأعدك أنَّها لن تتكرر.
ذهب مروان للمزرعة ليباشر العمل، ويتابع حالة الماشية فوجدها في تحسن فيحمد الله لما وصلت له داعى الله أن تسير الأمور كما خطط لها، في حين يقف، ويباشر العمل ليجد فتاة تعمل لديهم جاءت تطلب مساعدته، وهي تبكي فسألها:
لما تبكى، وما اسمك؟
- الفتاة:
أدعي أمل.
- مروان:
اسمك جميل، ولكن ما سر بكأك؟
- أمل:
أنا بحاجة إلى مساعدتك، وأتوسم فيك الخير، وأنَّك لن تخذلني.
- مروان :
تفضلي، أرجو من الله أن أساعدك!
- أمل:
عدني أولًا أنَّك لن تخبر أستاذ هاشم بالمجيء إليك.
(هاشم من يباشر حسابات المزرعة، ويكن له مروان، وإبراهيم

مشاعر الاحترام لكبر سنه، فهو في الخامسة والخمسون من عمره)،

- مروان :

بالطبع لن أخبر أحد، هل تحدثتِ بوضوح؟

- أمل:

أنا امرأة مطلقة، ولدي طفلين، وأعمل هنا منذ نشأة المزرعة بارك الله بوالدتك منذ أن علمت بظروفي وفرت لي العمل هنا، ومن وقتها، وأنا أراعي الله في عملي، لن أقبل أن أنفق على أبنائي شيء حرام، فوالدهم لا ينفق عليهم، وأنا متكفلة بهم، والله يمنحني القدرة على التحمل.

- مروان :

بارك الله فيكِ، ولكن لما لا تطلبي بنفقة لأبنائك هذا حقهم القانوني، والشرعي، أستطيع أن أوفر لكي محامى يطالب بحقوقك.

- أمل:

لا، أنا تنازلت له عن كل حقوقي، وحقوق أبنائي حتى يطلق سراحي.

- مروان:

كيف أساعد إذن؟

- أمل:

أنا كل ما أطلبه منك أن تسمعني للنهاية، وبعدها لك مطلق الحرية، وحينها لا أستطيع اللوم عليك أعلم مدى حبك، واحترامك

لأستاذ هاشم، وليشهد الله أن ما سأقوله هو الحق.

- مروان:

بدون مقدمات من فضلك.

- أمل:

منذ بداية عمل أستاذ هاشم، وهو يحاول التقرب مني بشتى الطرق، وهو رجل كبير بالعمر، وأنا أعتبره في مكانة أبي، وأستشيره في كل شيء حتى ذلك اليوم الذي صارحني فيه بحبه!

- مروان:

-في ذهول، ماذا تقولي؟هل جننت؟

- أمل:

أعتذر منك، ولكنها الحقيقة، أخبرته أن فرق العمر بيننا يتخطى الثلاثين عام، وأنَّه متزوج، ولديه أسرته، ولن أبني سعادتي على حساب غيري، وأنِّي سأحيى لأجل رعاية أبنائي، فليس لديهم غيرى بعد إن تخلى عنا كل الناس حتى أسرتي؛ لأنها لن تتحمل نظرة المجتمع لابنتهم المطلقة، لذلك فررت من القرية إلى هنا بحثًا عن السكون حيث لا يعرفني أحد، وأبدأ من جديد، ظلت حياتي هادئة حتى ذلك اليوم المشؤوم، ظننت أن كلماتي ستعيده إلى رشده، ولكن فجأت أنَّه لا يريد زواجي، ولكن يريدني في معصية الله بعيد عن أعين الناس.

- مروان:

لا أصدق ما أسمعه أستاذ هاشم؟ وماذا فعلتي بعدها؟
- أمل:
يا سيدى أنا لست امرأة سيئة، أنا امرأة جيدة حدث لها أمور سيئة، ما الذي أحتاجه من الآخرين؟ أنا لست بعربة يصعد إليها، وينزل منها من يشاء كل ما أريده، هو العمل الشريف، أريد أن أحيا بهدوء، فكل ما أملكه في تلك الحياة هو كرامتي، وأبنائي، ولن أخسرهم أمام أي شخص فقد رفضت طلبه، ومنذ ذلك الحين، وكأن باب الجحيم فتح على مصرعيه لأجلي، كل يوم إهانة، وتوبيخ أمام زملائي، ويوم آخر يخصم من أجري نصف المرتب، وأخرها أمس هددني أنَّه سيتخلى عني في العمل إن لم أوافق!
فكرت كثيرًا أن أخبرك، ولكن حيائي، وخوفي أنَّك لن تصدقني منعني، ولكن لا أملك سوى ذلك توكلت على الله، وأخبرتك كل شيء، والله على ما قلت شهيد، ولك مطلق الحرية.
- مروان:
كل هذا أكذوبة، أغربي عن وجهى، وباشري عملك، بل اتركِ العمل فورًا، لا يشرفني وجود أمثالك هنا.
اِنهارت أمل من البكاء!، وقد تمكن اليأس منها، وذهبت تجمع أشيائها استعداد للرحيل.

- هاشم:
لما تبكي، أنت ما فعلتي هذا ظننت أن مروان سيصدقك، ورفضتي عرضي، أنَّك جميلة، ولكنك غبية.
- أمل:
اتركني، وشأني، وها هو العمل سأتركه لك، والله لن ينسى أطفالي!
- هاشم:
محاولًا التقرب منها، ويضع يده على كتفيها قائلًا:
حبيبتي ما زال عرضي قائم.
فإذا بها تصفعه على وجهه قائلة:
ابتعد عني، وإلَّا سأرتكب جريمة!
- هاشم:
أنت جننت، أيَّتها الساقطة، ويهم بضربها في هذه اللحظة يدخل مروان، ومعه والدته، والتي احتضنت أمل قائلة:
أهدأي يا ابنتي
- هاشم:
-تلك المجنونة يجب أن تغادر حالًا لقد تطاولت عليَّ، وحاولت كثيرًا أن تغريني، ولكنِّي رفضت، ومن وقتها، وأقسمت أن تبليني بتهمة لأترك العمل.
ينظر له مروان باشمئزاز، فيسأله هاشم قائلًا:
لما لا تقل شيء، ولما تنظر لي هكذا إنَّها كاذبة لا تصدقها.

- مروان: في لهجة شديدة الحسم.

أصمت كفى كذبًا لن تراعى أنَّها في سن ابنتك، ولا مكانتك، لقد رأيتك وأنت تتنصت إلينا وقصدت توبيخها، وتكذبيها لكي تطمئن، وتتصرف كما يحلو لك، وتوقعت أنَّك ستخبرها بعلمك لما حدث لقد رسمت لك الفخ، و بغبائك وقعت فيه، والآن أرحل في صمت، وهدوء، واترك مفاتيح المكتب، وكل الأوراق الخاصة بعملنا، وتحذير أخير لك أن تعرضت لها مرة أخرى سأفضح أمرك أمام أهل القرية، ولا أحبذ فعل ذلك من أجل أولادك حتى لا تفقد احترامك في نظرهم، والآن أغرب عن وجهي.

ثمَّ نادى على شاب يدعى عزت.

- مروان:

عزت أذهب مع أستاذ هاشم إلى مكتبة، وأستلم منه كل الأشياء الخاصة بالمزرعة.

يغادر عزت، وهاشم الذي تعتريه الصدمة المكان، بينما يوجه مروان حديثة لأمل:

أعتذر لقسوتي معك، كان لا بد منه لأكشف الحقيقة، فالأمر لمْ يكنْ بسيط، ما زلت لا أستوعب ما حدث!

- أمل:

بارك الله فيك، سأستمر في العمل أليس كذلك؟

- مروان:
بالطبع وسيزيد راتبك الضعف، وتكاليف أبنائك سنتحملها كاملة ويصرف لكي كل أسبوع ما يكفيك أنت، وأطفالك من طعام من منتجات المزرعة، والآن اذهب إلى اطفالك، وأقضى اليوم معهم.
- والدة مروان:
ما رأيكم أن نتناول الغداء جميعًا اليوم في منزلنا.
- مروان:
فكرة جيدة.
- أمل:
حمدًا لله على وجودكم، وأشكركم على ما فعلتم لأجلي!
غادرت أمل، ووالدة مروان، ولكن مروان يشعر بحالة من السلام النفسي فللتو قد أنقذ حياة أسرة كاملة من الضياع، فقد رأى نفسه في أولادها، فتجربته القاسية علمته الكثير علمته الرحمة بالناس، وعدم اليأس، فلا يغفر لنفسه أنَّه ابتاع جزء منه من أجل المال الذي لا يجرأ على الاقتراب منه.
يعلم أنَّه أرتكب خطيئة، ويدعي الله دائمًا أن يغفر له، شكر الله على منحه هذه الفرصة، والأجر العظيم لإنقاذ أمل، وأطفالها، يكن لأمل كثيرًا من الاحترام، ويثنى على بسالتها فقد واجهت الموقف بدلًا من الهرب منه.

- مروان محدثًا نفسه:
يا الله، يا لها من فكرة جيدة، فرصة أؤمن مستقبل الطفلين، وأن أُكَفِرْ عن خطيئتي.
في حين يخلوا مروان بأفكاره، ويحلم بمستقبله تبادر في ذهنه ندى، ليشعر بالذنب تجاهها فرد فعله كانت مبالغ فيها حيال زيارتها، وبين لها أنَّه سعيد بما عانت منه.
رغم يقينه أنَّه من تخلى عنها، وأنَّها ببراءتها لا تستحق هذا الكم من الألم، والقسوة التي بدرت منه، أنَّها ضحية الجميع.
بالعكس من قسوة مقابلته لها كان يجب أن يشكرها لزيارتها، هو لم يقصد إهانتها، ويعلم جيدًا أنَّها لم تأتي لأنه البديل كما اتهمها، ولكنَّها جاءت لتطمئن عليه.
(فانتهاء العلاقة لا يعني انقطاع الود).
فلم يجد منه سوى يهاتف ندى:
- ندى:
السلام عليكم.
- مروان :
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هاتف ندى ؟
- ندى:
نعم، من؟

- مروان:
بصوت متلعثم قائلًا:
هل نسيت صوتي ؟
- ندى:
تنصت للصوت جيدًا
لا أتذكر من، هل ستخبرني أم أنهي المكالمة؟
(لقد علمت منذ الوهلة الأولى عندما ذكر اسمها أنَّه مروان).
- مروان:
أنتظري أعتذر إليكِ، أنا مروان.
- ندى:
أهلا بك، كيف حالك؟
- مروان:
بخير حمدًا لله، و أنت؟
- ندى:
بخير، ما الأمر؟
- مروان:
أتصلت لأعتذر لكِ عمَّا بدرى مني ذلك اليوم.
- ندى:
لا عليك، تفهمت غضبك وقتها.

- مروان:
لم تتغيري كثيرًا عن سابق عهدك ما زلتي تفهميني، وتحتوي غضبي
- ندى:
ليس هناك داعي للحديث في الماضي.
- مروان:
ثانية واحدة سأعود لكي أحمد يهاتفني سأعود حالًا، يجيب على أحمد.
أين أنت من وقت مكالمتك لي، وهاتفك مغلق ماذا حدث ؟
- أحمد:
بصوت يغلبه الانكسار، والحسرة.
سأصل غدًا مصر لقد تمَّ ترحيلي أرجوك أن تأتي لاستقبالي، وأحضر معك مبلغ ثلاثة ألاف جنيه، أعتذر إليك، سأعيدهم لك عند تتحسن الأحوال لا تقلق.
- مروان :
ماذا تقول أنت أخي، المهم الآن أين أنت حاليا؟
- أحمد:
أنا في مركز الشرطة، وسأرحل غدًا، سأخبرك بالتفصيل فيما بعد يجب أن أغلق الآن في رعاية الله!
ثمَّ انقطع الاتصال، وعاود مروان للحديث مع ندى، والذي أخبرها

بما حدث مع أحمد لتنهار من البكاء عليه، وصمَّمَت أن تذهب معه لاستقباله.

في اليوم التالي يجلس مروان، وندى في صالة مطار القاهرة في انتظار وصول أحمد لقد وصلت الطائرة منذ أكثر من ساعتين، ولم يظهر أحمد بعد، مرت الساعة الثالثة ليفاجئ مروان بشخص هزيل البنية يغطى وجهه اللحية هزيل وجهه شاحب، ويمسك بيده حقيبة قد عفى عليها الزمن.

- مروان قائلًا:

من أنت؟

ندى صرخت به قائلة:

أنَّه أحمد يا إلهى مستحيل لما وصلت لهذه الحالة.

يقف الشاب، والدموع تنهار كالشلال من عينيه فيضمه مروان بقوة قائلًا:

لا عليك يا صديقي حمدًا لله أنَّك هنا الآن سيكون الأمر على ما يرام!

أحمد يلتزم الصمت، وندى تنظر له، وتبكي على حالته يغادروا المطار، وطيلة الطريق ملازمين الصمت، فالحسرة تسكن الفؤاد، وتمزق شرايين القلب الواهن، أوقف مروان السيارة وذهب ليحضر الطعام فلم يتناولون شيئًا منذ الصباح ليجد أحمد يلتهم الطعام بشراهة، فنظروا إليه بغرابة، وهنا خرج أحمد عن صمته قائلًا:

أعتذر منكم، فأنا لا أتذكر متى المرة الأخيرة التي تناولت فيها الطعام، هل من مزيد؟ أنِّي أتدور جوعًا!

- مروان:

لا عليك يا أخي هنيئًا مريئًا، سأحضر المزيد من الطعام، والشراب لأجلك.

- ندى:

-أحمد حاول أن تتناسى ما حدث الآن أنت هنا بيننا، هل علمت والدتك بمجيئك؟

- أحمد:

-لا لمْ أخبر أحد سوى مروان، ولن أذهب للمنزل، والدتي إن رأت حالتي هكذا ستفقد عقلها مستحيل أفعل بها ذلك.

أتى مروان، وبدأت السيارة في التحرك مرة أخرى، وهنا تحدثت ندى:

أحمد لن يذهب إلى منزله لا يستطيع أن يصدم والدته بالحقيقة,

- مروان:

أنت محقة فحالتها الصحية لن تتحمل.

- أحمد:

حالتها الصحية! ماذا تعنى؟ أمي بخير.

- مروان:

نعم لا تقلق، هي بخير، وسهى تجلس معها في المنزل.

أحمد:
تجلس معها، وخالد موافق على ذلك؟!
- مروان:
لا تقلق الأمور بخير.
- ندى:
والآن، أين سيذهب أحمد؟
- مروان:
يأتي معي للمنزل أمي سترحب به جدًا، وإبراهيم يحبه ما المشكلة؟
- أحمد:
أرجوك لا أريد أحد غيركم أن يراني لا أريد نظرات العطف من أحد، سأظهر للجميع حين أعمل، واسترد قوتي.
- مروان:
لدي حل، ستجلس في المزرعة، هناك مكان بالنوم تجلس به، ولتتغذى جيدًا من طعام المزرعة، وتباشر العمل من الحجرة بدلًا من أستاذ هاشم ترك العمل أمس، وتدخر راتبك، وسأعطيك مبلغ كراتب مقدم لك تشتري به الهدايا لأسرتك، وكأنَّك عدت في ذلك اليوم، وفضلت أن تجعلها مفاجأة لهم، ما رأيكم؟
- ندى:
فكرة رائعة!

- أحمد:
أنا معك، افعل ما شئت.
- مروان:
الآن يجب أن تهندم نفسك، وتصلح من شعورك ما حدث قد مر دعه يمر بما يحمله في طياته من أشياء موجعه، فكر في الآن وفقط.
قاطع حديث مروان هاتفه الذي يدق، فأجاب ليجده خالد فأخبره أنَّه سيحدثه فيما بعد.
- أحمد:
كيف حالكِ يا ندى؟ أين حسام زوجك؟
- ندى:
تنظر لمروان ثمَّ تقول باستحياء:
لم يحدث نصيب انتهى الأمر قبل الفرح بشهر، فيما بعد سأخبرك بما حدث.
- أحمد:
أحزنتني، لا تبالي سيعوضك الله خيرًا.
وصلوا إلى القرية، وندى فضلت أن تذهب إلى منزلها بمفردها، حتى لا تعرض نفسها للقيل والقال، غير أنَّهم سيذهبون للمزرعة ليستريحوا.

أحمد يقف أمام المزرعة قائلًا:
ما شاء الله لقد كبر المشروع كثيرًا، لقد اشتريتم كل هذه البقعة من الأرض، ليزيدكم الله من فضله العظيم، إبراهيم شخص ناجح، وطموح بدونه كانت ستظل منزلكم القديم فقط.
- مروان:
صدقت إبراهيم أثبت لي أنَّه الأخ الأكبر، وليس أنا!
- أحمد:
المنظر من هنا رائع، الخضرة وغروب الشمس، يا لها من لوحة بديعية سبحان الخالق!
- مروان:
كلما ضاقت بي الحياة جئت إلى هنا حيث الصفاء، والهدوء بعيد عن الكذب، والحقيقة الموجعة!
- أحمد:
لدي فكرة جيدة، ستكون مصدر دخل رائعن و دعايًا للمزرعة.
- مروان:
في تحمس متسائلًا:
ما هي ؟
- أحمد:
هل ترى تلك الأرض المجاورة للمزرعة، هل هي ملك لكم؟

- مروان:
إنَّها ملك لنا، وكنا سنقيم عليها سوق للجزارة، و للفواكه، وللمنتجات المزرعة.
- أحمد:
فكرة جميلة جدًا، اسمع اقتراحي من الممكن إذا وافقت عليه نشتري هذه الارض في أقصى اليمين بجانب المزرعة، ونقيم عليها السوق.
- مروان :
- ما الفكرة إذن؟
- أحمد:
أن نحول المزرعة لمزار سياحي، كل من يريد أن يحيا حياة الريف، وأجوائها يأتي إلى هنا يتناول الطعام الصحي المطهى أمامهم، وبيدهم، يرون منظر الطبيعة، منها سيزيد الدخل للمزرعة، ومنها دعاية للمزرعة، ما رأيك؟
- مروان:
فكرة أكتر من رائعة ستحتاج إلى تكاليف باهظة لتصبح بشكل أفضل، سأعرض الفكرة على إبراهيم، وأنت تستلم الحسابات، وتحسب التكلفة، ووقتها نبدأ بإذن الله.
- أحمد:
حسنًا أنا جائع نوم، أين الغرفة ؟

- مروان:

تفضل من هنا، ويصحبه إلى غرفته.

الآن تناول قسطًا من الراحة استعداد لغدًا ليس لدينا وقتًا لإسرافه، نومًا هنيئًا.

- أحمد:

شكرًا لك.

- مروان:

لا شكر على واجب يا أخي.

٤) تستحق السعادة فلا تتهاون في حق نفسك:

كانت خيوط الفجر الأولى قد لاحت حيث بدت لها أشباح المدينة النائمة في الأفق، فتسلل هاجس مجهول المصدر إلى رأسها لترى أمامها شخص طويل القامة يتسلل إلى غرفتها مبتسمًا لها، ويحنو عليها، شرعت بالذعر عندما رأته، وحاولت أن تقاوم شعورها بالخوف من ظهوره واختفائه المفاجئ، ولكن الخوف سيطر على تفكيرها، وانسال عبر دمائها فتضاءلت مقاومتها وانتكست عزيمتها لتعرف من هذا المجهول، واستسلمت لغيبوبة من النوم العميق، لتستيقظ اليوم التالي، وكان الصباح قد انجلى لا تتذكر سوى ذلك الحزن الدفين الذي يتخللها لحالة أحمد، فقررت أن تذهب إلى المزرعة لتخفف عنه، وتطمئن عليه، وبالفعل ذهبت إلى هناك، ورأت مروان، وإبراهيم، والذين رحبوا بها، وتناولوا الفطور جميعًا معًا، واستأذنهم إبراهيم، فامتحانات الثانوية العامة قد بدأت، وطلب منهم أن يدعوا له، وهو في حالة من الذعر حاولوا أن يطمئنوه، ولكنه متوتر جدًا فذهب معه مروان

ليوصله للامتحان، وينتظره حتى ينهي الامتحان ليطمئن عليه، ويشعره بالأمان لوجوده، وترك المزرعة في أمانة أحمد، وندى.
- أحمد:
الله معك، في رعاية الله بالتوفيق.
ثمَّ وجه حديثه إلى ندى:
ما رأيك أن نقوم بجولة في المزرعة لنباشر العمل؟
- ندى:
هيا بنا، إنَّها فكرة رائعة فخورة بك، وبشجاعتك لمواجهة مشكلتك أتمنى أن تمحي ما حدث من حياتك.
- أحمد:
رجاء لا نتناقش في هذا الأمر دعينا نبدأ من جديد، والآن أخبرني كيف حالك؟
- ندى:
أنا بخير، لا تقلق.
في حين يتجولوا في المزرعة رأى أحمد أمل، وقد لفت انتباهها بسمتها التي ترتسم على وجهها، وهي تتحدث مع زملائها، شعر اتجاهها بشعور جميل فنادى إليها قائلا:
من فضلك، من أنت؟
- أمل:
تفضل، هل أستطيع مساعدتك؟

- أحمد:

من أنت؟

- أمل:

أنا أعمل هنا كيف أساعدك؟

- أحمد:

أعلم أنَّكِ تعملي هنا، ولكن أسألك من أنت؟ اسمك؟

- أمل: وقد اشتد بها الغضب:

أُدْعَى أمل، من أنت، وكيف لي أن أساعدك؟

- أحمد:

-مهلًا، أنا المحاسب الجديد بدلًا من الأستاذ هاشم، وصديق مروان، أريدك أن تخبريني أين مكتب أستاذ هاشم ليس إلَّا؟

- أمل:

حضرتك أُسْلُك ذلك المرر لنهايته هو الغرفة الأخيرة.

ثمَّ تركته، وذهبته وهي تهمهم: -يا لها من بداية غير مبشرة، يا لسخافته!-

- أحمد سمعها فقال لها:

هل تقولي شيء؟

ولكنها لمْ تلتفت له.

- ندى:

لما فعلت هذا؟، لقد أحرجتها.

- أحمد: مبتسمًا ثمَّ قال:
أنَّها كالغزال الشارد عيناها بها سحر غريب، وابتسامتها رائعة!
- ندى:
يا الله لا أصدق أحمد تحول إلى شاعر، ومن أول نظرة، يجب أن أرحل الآن.
- أحمد:
سأنتظرك غدًا، شكرًا لمجيئك أختِ العزيزة.
- ندى:
إن شاء الله، سأتركك الآن مهلًا على الفتاة لا يجب أن تعاملها هكذا إلى اللقاء.
- أحمد مبتسمًا:
في رعاية الله لا تقلقي، سأباشر العمل.
يدق هاتف مروان فإذا به خالد زوج سهى:
- مروان:
السلام عليكم، كيف حالك؟
- خالد:
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أنا بخير، أنسيت اتفاقنا؟
- مروان:
أدامك الله بالعافية، لا لن أنسى، لتقابلني الساعة الثالثة عصرًا أمام الجامع الذي في بداية القرية، الآن أنتظر خروج أخي من

الامتحان لأطمئن عليه، وبعدها سأحضر لمقابلتك، وأخبرك سبب تأخري عليك.
- خالد:
بالتوفيق إن شاء الله، حسنًا سأنتظرك على موعدنا، في رعاية الله, ثمَّ أغلق الخط، فينظر ليجد إبراهيم مقبل من بعيد، ويبدو عليه ملامح السعادة، فاحتضنه مروان قائلًا:
أخبرني كيف الحال؟
- إبراهيم:
حمدًا لله إجاباتي صحيحة!
- مروان:
بالتوفيق، وبإذن الله لن يضيع الله مجهودك، والآن هيا بنا لنطمئن والدتنا.
الساعة الثالثة عصرًا يقف خالد، وبيده باقة من الزهور في قمة الروعة، في انتظار مروان والذي جاء مسرعًا، وأخبره بوصول أحمد وأنَّه لم يخبر بما حدث مع سهى، وأخبره أن لا يخبرهم، واصطحابه لمنزل أحمد.
يدق باب المنزل فتجيب سهى:
تفضل يا مروان أهلا بك.
- مروان:
لست بمفردي، فينظر للخارج قائلًا:

تفضل يا خالد
سهى يعتريها الذهول قائلة:
ماذا جاء به إلى هنا؟
- مروان:
أنا أحضرته معي، جاء ليعتذر عمَّا بدر منه.
- خالد:
أنا آسف، هل سمحتي لي بالدخول؟
- سهى:
-صدقت أكاذيبه، انخدعت في كلامه المعسول.
- مروان:
اسمح لنا بالدخول، كل ما يريده أن يعتذر من والدتك عمَّا حدث، ويطمئن فقط على صحتها، أليس كذلك يا خالد؟
- خالد:
بالطبع،رجاء لا تخلطي الأمور ببعضها البعض.
سهى: تنظر إلى مروان بتوعد، وغضب قائلة:
تفضلوا. . .
واستحبتهم إلى الداخل، وتركت باب المنزل على مصرعيه، وقامت والدتها من الفراش لتلقي عليهم التحية فقد تحسنت حالتها الصحية، ابتسمت، وفرح قلبها عندما رأت خالد يجلس بهدوء، ولا يفتعل المشاكل كعادته فيبدو عليه الإحراج فقالت مازحة:

مرحبًا بكم يا أبنائي، ما هذا الهدوء يا خالد هل أنت بخير؟ لا يسكت الله لك حسًا!

انطلقت الضحكات من الجميع حتى سهى التي كانت تكاد أن تنفجر غيظًا منهم.

- خالد في حياء:

أمي أعتذر لك على ما فعلته، وأرجو أن تعفو عني أنت تعلمي مدى حبي لكي، وأنِّي طيب القلب لا أقصد الإهانة أبدًا، أعترف أنِّي همجي، وأسأت التصرف، أرجوكم تقبلوا اِعتذاري!

- والدة أحمد:

يا ابني أنت تعلم مدى حبي لك فكنت اعتبرك في مكانة ابني أحمد، وأمنتك على ابنتي، ولكنَّك لمْ تكنْ شخص أمين، لا يهم أن أسامحك أنا المهم أن تسامحك سهى، ووقتها ستعود ابني الغالي.

سهى تقاطع حديثها في غضب:

أي تسامح انخدعتم في كلامه، هذا شخص كاذب مجنون، مستحيل أصدقة، أو أسامحه، قتل ابني اتهمنا في شرفي، كاد أن يقتلني كيف لي أن أسامحه، أخشى على حياتي معه.

- خالد:

أنا أحبك بجنون، وأنتِ على يقين بذلك، أعلم أنِّي أسأت إليك كثيرًا لكن لا تنسي حبي لكِ، أنتِ أجملهن تلك التي لا تقهر، أنتِ جيشي، وقوتي،أميرتي، ومدللتي، أنت مصدر قوتي أنتِ قُبْلَتِي

وقبيلتي، امنحيني فرصة أُكَفِر بها عن ذنبي!
يظن خالد أن كلامه المعسول سيسيطر عليها لا يعلم أنَّه سقط من نظرها فأسوء ما يتعرض له الرجل من قبل حواء أن تفقد الأمان بجانبه.
(تحتاج حواء إلى الرعاية، التفهم، الاحترام، الإخلاص، التصديق، الطمأنينة، وكلاهما يحتاج إلى الحب!)
سهى رغم ما حدث ما زالت تشتاق إليه حتى وإن كان قليلا، ولكن غضبها منه يغطي على مشاعرها فقالت في قوة، وثابت:
لا يهمني حبك فمن يحب لا يقتل، أنت قتلتني بكل هدوء لمْ يتحرك لك جفن!
- مروان : قاطع حديثها بعد أن رأى الدموع في عين خالد قائلًا:
سهى لن تخسري إن منحته فرصة ثانية، تعاملي وكأنكم تتقابلوا من جديد، وامنحيه الفرصة أن يثبت لكِ أنَّه أُصْلِحَ من نفسه لأجلك.
- سهى:
هو من أفسد كل شيء بخوفه، وأنانيته لم يفكر فِي أبدًا، ولم يضحي من أجلي، هو وحدة يجب أن يدفع ثمن ذلك بمفرده، لن أضحي بلحظة واحدة من عمري لأجله.
- خالد:
فرصة واحدة تكفي، أتوسل إليك!

يتحدث، والدموع تتسابق لتفضح أمره، وضعفه أمامها فما زال يعشقها.

- سهى:

أنا أحببتك من كل قلبي، وكنت مخلصة لك لم أؤذي مشاعرك يومًا كنت خير الحبيبة، والأخت، والأم، والصديقة، والزوجة، كنت أحن عليك منك، تحملت الكثير من ضرب، وإهانة، وحذرتك أن لا تفعلها ثانية لأنِّي لن أسامحك، وفعلتها، ظننت بي أسوء الظنون، لن أسامح في حق ابني إنَّ منحي فرصة أخرى لك معناها أن أعطيك فرصة أخرى لتكمل ما فشلت به المرة السابقة، لست بذاك الغباء.

- والدتها:

يا ابنتي واضح أن فراقك قد غيره كثيرًا، وجعله يصلح من نفسه لما هذه القسوة، امنح نفسك، وامنحيه فرصة الله يغفر، ويسامح.

- سهى:

أمي رجاء هذه مشكلتي أنا، الله غفور رحيم، وأنا بشر.

- مروان:

سنرحل الآن، ولكن فكرى في الأمر جيدًا، وأنا أثق بذكائك، ولكن استفتي قلبك، وسأنتظر قرارك وأيًّا كان قرارك لك ما تشائين.

- خالد:

أعتذر إليكم على كل ما سببته من ضرر، لا أريد سواكِ، أنتِ ملاكِ

وإن رفضتي منحي فرصة أخرى ليكن، وليرزقك الله المزيد من السعادة، إلى اللقاء.
خرج مروان، وخالد، وشكره خالد على ما فعله معه حتى، وإن رفضت سهى يكفى أنَّه حاول مساعدته، وأنَّه سبب أن يصلح عيوبه، وكان اليأس يعتريه، وهذا ما جعله يتفاجئ من التفاؤل الواضح على مروان في كلامه.
- مروان:
على يقين أنَّها ستمنحك فرصة ثانية.
- خالد:
مستحيل أنَّها تكرهني جدًا!
(عندما تجد امرأة تكره رجلًا، فأعلموا أنَّها كانت تحبه حد الجنون).
- مروان:
وإن كانت كذلك هذا دليل على بقايا حب.
- خالد:
لا أفهم؟ ماذا تقصد؟
- مروان:
يا عزيزي عند انقطاع العلاقة لأي سبب ففي حالة الكره يكون ناتج عن مشاعر غضب، وحب، وليس كره فعلًا فمن المستحيل أن يكون هناك كره بعد حب أنَّه الغضب يا عزيزي من قسوة

ما حدث، وحتى أنت عندما حاولت تصلح الأمور أفسدتها، لكن الآن بعدما فعلته هناك ستفكر، وستتذكر لك كل الأشياء الجميلة التي فعلتها، وذكرياتكم ووقتها ستمنح حبكم فرصة أخرى للنمو من جديد صدقني.

- خالد:

أتمنى ذلك، والآن يجب أن أرحل لدي عمل مهم يجب إنهائه.

- مروان:

تفضل في رعاية الله، وأنا سأحدثها بعد يومين أحاول التأثير عليها, يجلس أحمد، ومروان في المزرعة فإذا بأمل تدق باب المكتب متسائلة بالدخول فسمح لها مروان بالدخول:

- أمل:

السلام عليكم، كيف حالك؟

مروان، وأحمد في نفس الوقت:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- أحمد:

أنا بخير، شكرًا لسؤالك!

فتجاهلت أمل حديثه، ثمَّ نظرت لمروان قائلة:

كيف حالك اليوم؟

مِمَّا جعل أحمد يشعر بالحرج، ونظر لمروان مبتسمًا في خجل.

- مروان:
أنا بخير، ما الأمر؟
- أمل:
كل شيء على ما يرام، لقد أحضرت لك بعض الحلوى التي صنعتها في المنزل لتتذوقها، شكرًا لك، لما فعلته لأجلى.
- مروان:
لا داعي لذلك، أنَّه حقك.
لمْ يكملْ مروان حديثه إذا بأحمد يمسك بالحلوى قائلًا:
شكرًا لكي سيدتي الجميلة، فأنا لمْ أفعل شيء.
تنظر أمل لمروان في دهشة من أمرها، وينظر مروان لأحمد متعجب من ردة فعله قائلًا:
أحمد يا صديقي ما الأمر؟
- أحمد:
وهو يأكل الحلوى بشراهة:
يجب أن أخبرك أنَّها غاية في الروعة، فأنا متذوق جيد، فأنتِ طاهية محترفة.
أمل تنظر لمروان، وتستأذنه بالانصراف فيناديها أحمد لحظة من فضلك، فتقف مكانها، وتنظر له في صمت.
- أحمد:
تفضلي الوعاء، ما رأيك أن تطهي وجبة المكرونة لنا ستكون رائعة؟

تناولت منه الوعاء، وغادرت في صمت.
- مروان:
هل فقدت صوابك؟!
- أحمد:
ستصدقني أن أخبرتك أنِّي لا أعلم كيف فعلت ذلك، عندما أراها تلقائيًّا أتحول لشخص أَبْلَه، أحاول لفت انتباها بأي شكل.
- مروان:
ابتعد عنها، ليس لها في الحب، تحيا من أجل أبنائها.
وقعت الكلمة على مسمع أحمد وقع الصاعقة، وكأنَّه ارتضتم بشيء حاد في وجهه، وقال في ذهول:
أبنائها، هي متزوجة!
- مروان:
كانت. . .
- أحمد:
أرملة، لا يبدو عليها.
- مروان:
بلى مطلقة، ولديها طفلين، وتبرأت منها عائلتها؛ بسبب طلاقها وفرت من بلدتها لهنا بحثًا عن حياة هادئة لها، ولأطفالها فأبتعد عن طريقها ليست من تلك الفتيات، كثرة الأزمات، والقسوة تقوي القلب، وتميت المشاعر، حياتها معلقة بطفليها وليد، ومازن، كما

أنَّها تكبرك بعامين، أنسى الأمر.
أحمد لا يستطيع البوح، ولو بكلمة واحدة فقد اِنهال عليه مروان بالمفاجآت واحدة تلو الآخر أفقده القدرة على التفكير، والنطق، فستأذن من مروان أن يذهب لغرفته يجلس، ويدور في خاطرهِ: (يا لها من امرأة جميلة، وقوية لما تركها زوجها، وتخلت عنها أسرتها مستنكرًا طلاقها، ويتساءل، وإن كانت هي من طلبت الانفصال كما أخبرني أحمد كيف لها أن تفعل ذلك ألم تفكر في نظرات الناس لها؟)
تظل المرأة المصرية مضطهدة مغلوبة على أمرها محكومة بعادات، وتقاليد مجتمع شرقي، تخشى كلام المجتمع على الرغم من أنَّه مجرد كلام ليس له قيمة.
تخشى نظراتهم الحادة، ورأيهم القاسي العقيم في المرأة المطلقة ينظرون إليها، وكأنَّها خطيئة هي المخطئة دائمًا، وأن الرجل هو الملاك البريء الذي لا يخطأ أبدًا، لا يعلمون أن المرأة المطلقة هي أقوى شخصية في مجتمعنا؛ لأنَّها رفضت استكمال حياة لا تريدها حياة تستهلك طاقتها، ومشاعرها من حق كل منا أن يحيا في أمان، وراحة، وطمأنينة أن يحيا حياته كما يحب ليس كما يفرض عليه المجتمع فمقياس الحياة لدينا هو أحاديث المجتمع ليس الحلال، والحرام، وهذا ما يجعلها تضحي بحريتها من أجل راحة أبنائها، ومظهرهم الاجتماعي، أليس بهذا ظلم للمرأة؟

بين هذا الصراع الأزلي الذي يدور بين الرجل الشرقي بسلطته، وجبروته، وقسوته لست أقصد الرجل بل أقصد أشباه الرجال الذين يستضعفون المرأة، والصراع بين المرأة المغلوبة على أمرها، والتي تحاول عبر الأزمنة أن تتحرر من تلك القيود المميتة، والتي بدأت أولى خطوات تحررها بخروجها للعمل، واستقلالها بميزانيتها.
مِمَّا منحها القوة في مواجهة المجتمع، وأحكامه القاسية عليها، وما زالت مستمرة في نيل حريتها.
أحمد يلقي اللوم على أمل، ولا يعلم أن أخته ذاقت من نفس الكأس.
مروان يدق باب الغرفة، ويدخل بعد أن سمح له أحمد:
- مروان:
رأيت نور الغرفة مضيء، علمت أنَّك متيقظ سأذهب للمنزل هل تريد شيء؟
- أحمد:
أريد أن أستفسر عن شيء.
- مروان:
تفضل، الأمر بشأن أمل، أليس كذلك؟
- أحمد:
بالفعل، لا يبدو عليها أن أخلاقها فاسدة.

- مروان:
ومن قال ذلك، أنَّها عنوان، ومثل مشرف للمرأة الجيدة، أتمنى أن اتزوج واحدة في أخلاقها، تلك هي المرأة التي تصون عرضي تلك التي أخرج من منزلي، وأنا على يقين أنَّها ستكون أمي الثانية في حرصها على راحتي.
- أحمد:
ولما تركها زوجها إذن؟
- مروان:
هي من طلبت الانفصال، كان شخص قاسي جدًا، وساومها على حريتها مقابل أن تتنازل عن كل حقوقها، وترك لها أطفالها، فرضًا منك أنَّها سيئة هل أطفالها سيئين أيضًا؟
- أحمد:
لما تدافع عنها كذلك إنَّها امرأة مطلقة!
- مروان:
وهذا ليس عيبًا، إن كانت واحدة من أخواتك تعرضت للانفصال سيكون رأيك هكذا؟
- أحمد:
أنا أثق في أخلاق أخواتي.
نظر إليه مروان نظرة أسف، واستهتار كاد يخبره أن سهى انفصلت عن زوجها، ولكنَّه لمْ يشئ أن يزودها عليه ثمَّ تركه، ورحل.

(الرجل الشرقي يؤمن بالحرية ما دامت بعيدة عن نسائه).
في صباح اليوم التالي مروان، وحنين في لجنة الاختبار ينظر إليها مروان خلسة يشعر أنَّها تتهرب منه، ففضل أن يركز في الاختبار الآن، ويحدثها بعد انتهاء الاختبار.
انهت حنين الاختبار قبل أن ينهي مروان، وأسرعت بالخروج من اللجنة، فظن مروان أنَّها ستنتظره بالخارج كما تفعل، فاستكمل الاختبار حتى انتهى منه، وخرج لكنَّه تفاجئ بعدم وجودها، فخرج من الجامعة، وهو مشتت الذهن ما الذي حدث المرة السابقة جعلها تتجنبه كذلك، فيرى حنين تقف على الطريق، فاستجمع قوته، ونادى عليها، وهو يسرع ليلحق بها، ولكنَّها سمعت صوته، ومشت بعيدًا، ولكنَّها وقفت فجأة عندما سمعت صوت شيء ارتطم بقوة من الخلف لتنظر في حسرة، وفزع تقف متصلبة في مكانها، وكأنَّها فقدت النطق عيناها تخالطها الدموع بالدهشة؛ لتجد مروان يتوسط بقعه من الدماء لقد صدمته سيارة، وهو يلحق بها.
هاتفت حنين والدها ليحضر في الحال، وبالفعل لمْ يمرْ سوى عشر دقائق، وكان ولدها قد وصل وأخبرته بما حدث، وكانت الإسعاف قد وصلت لتوها وتمَّ نقله الى المستشفى وحنين ووالدها التحقوا به.
في المستشفى تسلم الممرضة أشياء مروان لحنين، فإذا بهاتفه يدق

فيجيب والد حنين:

السلام عليكم، من؟

- المتصل:

أنا أحمد صديق مروان، أين مروان؟

- والد حنين:

أعتذر منك مروان تعرض لحادث، وهو الآن في المستشفى، ولم يخبرنا الطبيب شيء بعد.

- أحمد: جن جنونه. . .

ماذا تقول كيف حدث ذلك، مسافة الطريق وسأكون عندكم، رجاء إذا اتصل أحد على هاتفه لا تجيب، لا نريد أن نفزع أسرته.

- والد حنين:

حاضر، في انتظارك.

يخرج أحمد على عجلة من أمره ووجهه شاحب، فيصطدم بأمل والتي تسرب إليها القلق من هيئته فتساءله:

- ما الأمر؟

- أحمد:

مروان في المستشفى تعرض لحادث، باشري العمل حتى أعود ولا تخبري أحد.

- أمل:

-مستحيل سأتى معك، هيا بنا.

يصل أحمد، وأمل للمستشفى ليجد حنين ووالدها، يقف أحمد في مكانه قائلًا في ذهول: -مستشار محمد ماذا جاء بك إلى هنا؟-

- والد حنين:

أنا أتذكرك لكن لا أتذكر أين رأيتك؟

- أحمد:

ما الذي حدث؟

- والد حنين:

مروان زميل ابنتي في الجامعة، وأنقذ حياتها من قبل عندما سقطت مغشي عليها في الجامعة، واليوم تعرض لحادث ويجب أن أقف بجانبه.

- أحمد:

في الحقيقة، أنَّه أنقذ حياتها مرتين.

تنظر حنين لوالدها، ولأحمد فى ترقب متسائلة:

ماذا تقصد؟

- أحمد:

أقصد أن ذلك الشاب بالداخل، والذي لم يتذكره والدك هو من متبرع لكي بكليته من قبل.

- والد حنين:

نعم تذكرتك أنت صديقه الذي كنت بالمستشفى معه، وقابلتك عندما جات لدفع باقي المبلغ، ولكن كيف لم يتذكرني مروان

عندما رآني أول مرة؟
تنظر أمل لهم، وهم يتحدثون لا تفهم شيء مِمًّا يدور ووقتها يخرج الطبيب قائلًا:
حمدًا لله على سلامته، هو بخير الآن، يحتاج إلى مزيد من الراحة، فالكسور في مناطق متفرقة!
- أحمد:
متى سيغادر المستشفى ؟
- الطبيب:
بعد يومين إن شاء الله
- والد حنين:
حمدًا الله على سلامته، والآن سنغادر نحن.
يأخذ حنين، والتي ما زالت لا تصدق ترتيبات القدر، بينما تدخل أمل، وأحمد للاطمئنان على مروان، ليجدوه غارقًا في النوم.
- تهمس أمل بصوت منخفض:
سأذهب للمزرعة أرى العمال، وأحضر بعض الطعام المفيد له، وأطمئن على أولادي، وأعود.
- أحمد يصحبها للخارج قائلًا:
تفضلي بإمكانك أن لا تعودي ثانية، أنا هنا سأهتم بأمره.
- أمل:
لست مجبره على شيء هذا واجبى تجاهه فقد أنقذني أنا وأطفالي

من الضياع.
(وأخبرته بما فعله مع أستاذ هاشم).
- أحمد:
أعتذر إليك على معاملتي السخيفة من قبل، تفضلي الله معك، وبارك الله فيكِ!
عاد أحمد يجلس بجانب مروان ليستعيد وعيه ظل يفكر فيما أخبرته إيَّاه عن أمل، فتسأَل:
إن كانت سيئة كما ظن بها، لاختارت الأسهل ووافقت على عرض هاشم، كانت سترتاح من مشاق العمل وتحيى حياتها، ولكنَّها اختارت طريق الله، وعملت بقوله عز وجل:
بسم الله الرحمن الرحيم
- وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ-
سورة: الطلاق، آية (٣،٢).
وهذا يدل على نبل أخلاقها، حتى موقفها من مروان يدل أنَّها شخص حافظ للجميل، فلم تنسى موقفه معها، وأنَّه أنقذها من الضياع والجوع هي وأطفالها، وصمَّمَت أن تظل بجانبه حتى تطمئن عليه، ولم تنسى المزرعة مِمَّا يدل على أنَّها شخصية أمينة، أكثر من ميزة بها، من الواضح أنِّي أسأت الظن بها، وعجلت بالحكم عليها، لم أرحمها فعلت كما فعلت أسرتها يا ويلي من الله عز وجل!

(ما فعلته أمل جعلها ترتقي في نظر أحمد دون قصد، وجعلته يغضب من نفسه).

- يدق هاتف مروان، فيجيب أحمد:

السلام عليكم، من؟

- المتصل:

وعليكم السلام، أين مروان، أخبره أنِّي خالد أريد محادثته؟

- أحمد:

يحدث نفسه الصوت ليس بغريب عني معقول خالد زوج سهى!

- خالد:

ألو أنت معي؟

- أحمد:

نعم معك، مروان تعرض لحادث والآن في المستشفى ونائم، عندما يستيقظ سأخبره أنَّك هاتفته.

- خالد:

يا الله، حمدًا لله على سلامته، سأؤتي لزيارته بعد ساعة حينها سيكون استيقظ.

- أحمد:

تفضل يا سيدي، مع السلامة.

- خالد:

مع السلامة.

أحمد أغلق الخط، والشك يثوره أنَّه صوت خالد زوج سهى، ولكن ما شأنه بمروان فلم يتقابلوا سوى مرة واحدة من سنوات مستحيل يكون هو. . .

تجلس حنين بجانب والدها في السيارة، وتعاتبه قائلة:

لما لمْ تخبرني أنَّك اشتريت لي الكلي، لما أوهمتني أنَّها كلية متبرع، هل اشتريت عمري بالمال؟

- والد حنين:

وليعوذ بالله يا ابنتي العمر بيدي الله، ولكنى أخذت بالأسباب، لم أجبره على التبرع بها هو وافق على ذلك مقابل المال، أنا لمْ أكنْ أعرفه، ولم أراه إلا في المستشفى بعد انتهاء العملية، وأعطته أكثر مما وعدته به في البداية.

- حنين:

لقد استغليت فقره لإنقاذ ابنتك.

- والدها:

يا ابنتي العزيزة، أنقذ حياتك بعمرى كله، لمْ أردْ أن أفعل ذلك، واشتريها بالمال، لمْ يكنْ أمامي حل آخر، فلا أنا، ولا أسرتك صلحنا أن نمنحك إياها.

- حنين :

ولما لم تخبرني الحقيقة؟

- والدها:

أنت رافضة لفكرة شرائها، وإن كنت أخبرتك بالحقيقة من المؤكد سترفضين العملية، وتضيعي مجهودنا طيلة ذلك الوقت للبحث عن متبرع.

- حنين:

أبي أنت كذبت!

- والدها:

ينظر لها بدهشة متسائلًا:

ماذا قلتي؟

- حنين:

لقد كذبت عليَّ أنت شخص كذاب!

لقد عاد السؤال انتظر منها أن تعتذر عن تلك الإساءة، ولكنَّها لمْ تفعلْ، بل أكدتها وقالت مرة أخرى!

أنت كاذب يا أبي، لن أثق بك بعد الآن!

لمْ يكنْ منه إلَّا أن صفعها على وجهها قائلًا:

أنا كذبت نعم، كذبت لأجلك لأحميك من نفسك، أنا شخص كاذب لأنِّي لمْ أخبركْ في كل مرة بالوجع والحسرة والعجز في كل مرة تتألمي فيها بسبب المرض، أنا شخص كاذب لأنِّي لمْ أخبركْ أنِّي أبتعت شقتنا الثانية لأدفع ثمن الكلي، أنا كذاب لأنِّي لمْ أخبركْ بمرضي، وأنِّي أوقفت علاج القلب الخاص بي لأوفر ثمنه لكي، كذبت حين لمْ أخبركْ، وأشعرك بكل تلك المسؤولية التي أحملها لتحيى

أنت وأخواتك في نعيم، أنا كاذب يا ابنتي أنت محقة، قدرك ـن تكوني ابنة لرجل كاذب!

(أنهى والدها كلماته، ولكن كان لعينه رأى آخر فبكى دون أن يشعر).

ليجد يد حنين تمسح دموعه قائلة:

أبي أنت تبكى بسببي، أعتذر إليك لم أقصد ذلك، أرجوك أن تسامحني، أنا أشعر بالذنب تجاه مروان، فأنا السبب بحادث اليوم، وفي نفس اليوم أكتشف أنِّي أحمل قطعة منه، واكتشف أنَّك تخفس عني أمر مهم كذلك، كيف لي أن أحيا بعقدة الذنب هذه، أرجوك يا أبي سامحني!

- والدها:

يقبل يدها، هونًا عليك يا ابنتي، الأمر ليس كذلك أنا لا أحزن منكِ أبدًا، أنا أحزن لأجلك، لا تحملي نفسك فوق طاقتك.

- حنين:

كيف يا أبي، ومروان في المستشفى بسببي، لا يكفى أنِّي استغليت حاجته للمال.

- والدها:

يا عزيزتي مروان الآن في حالة جيدة بعض كسور، ويسترد عافيته، هو من أخطأ وهو يعبر الطريق ليس ذنبك و لستي صاحب السيارة الذي صدمه ورغم ذلك صممت أن تذهبي معه

للمستشفى حتى تطمأني عليه، وحتى جاء صديقه فعلتي ما يطلب منك وفائض.

- حنين:

يا أبي من تتحدث عنه كذلك عرض حياته للخطر من أجلى، وهو من أنقذ حياتي!

- والدها بلهجه يغلبها الغضب:

لقد أخذ ثمن ذلك، ولم يتبرع بها ولكن باعها من أجل المال، لمْ أجبره على شيء، وهو من اتصل بالطبيب ليجري الفحوصات، لم يفعل شيء لوجه الله، أو من أجلك لأنه لمْ يكنْ يعرفك.

- حنين:

صمتت قليلًا ثمَّ بكت بشدة.

(والدها في لهجة يطغو عليها الحزن بعدما أوقف السيارة جانبًا).

تحبيه، أليس كذلك؟

وقع السؤال عليها وقع الصاعقة يا الله لقد اكتشف أمرها، لقد كشف والدها ذلك عندما رأى تلك اللهفة التي تنطق بها ملامحها، اللهفة النابعة من الأعماق المتجسدة كيانها كله، اللهفة التي تبوح بها عيناها خوفها المبالغ فيه على مروان.

كل ذلك يثبت له أن ابنته تكن لمروان مشاعر رقيقة، حب طاهر برِيء عفوي يخلو من الاستغلال، لمْ تكنْ قد عرفت هذا النوع من المشاعر من قبل فتجربتها المنعدمة، ومحيطها المغلق لمْ يعلماها

كيف تتصرف في مثل هذه الظروف، فالذات المرأة تكون بالسلاح الأنثوي دون منازع، وهو البكاء!

- قال الأب:

أعتذر منك، وأن أخجلتك بسؤالي، فتناسيه، ولكن يجب أن تعلمي أنَّه ليس الشخص المناسب لذلك، وأتمنى أن تكون مجرد مشاعر زمالة فقط ، لقد انتهى الأمر لنطوي هذه الصفحة.

- حنين:

كلام والدها كالصخر الذي ارتطمت بها فلم تجد سوى الدموع منفذًا لها.

٥) يزهر الإنسان بالعشق:

يدق هاتف مروان، فينظر أحمد والذي غلبه النوم ليجد رقم سهى أخته فيتسأل في دهشة:
سهى ما خطبها بمروان، وكيف سأجيب عليها سيكتشف أمري، يا الله يا مروان ألمْ تفقْ بعد لتفهمني ماذا يحدث؟ لن أجيب عليها.
لمْ يمْر سوى عشر دقائق، ويفاجئ بخالد زوج أخته يدخل من باب الغرفة، خالد يعلم بوصول أحمد لمصر، ولكن أحمد لا يعلم أن مروان أخبر خالد بما حدث، فتفاجئ بوصول خالد متسائلًا:
كيف علمت بالأمر؟ أنت من تحدث على هاتف مروان.
- خالد مبتسمًا:
حمدًا لله على سلامة وصولك في البداية، أنت من أجبت على الهاتف إذن؟
- أحمد:
من أين تعرف أحمد؟

- خالد:
لقد رأته في منزلك من مدة ووقتها حدث بينا سوء تفاهم، وبعدها أصبحنا أصدقاء.
- أحمد:
ماذا حدث؟
أخبره خالد بكل ما حدث في غيابه حتى انفصاله هو وسهى، واعتذر له على ما فعله في غيابه، ولأن احمد شعر بمدى صدق مشاعره فقد قبل اعتذاره قائلًا:
من يسامحك هي سهى وحدها، وهي وحدها من تملك الخيار تكمل معك، أو لا، وهذا حقها.
هنا تذكر أحمد موقفه من أمل، وفهم الآن لما سأله مروان عن رأيه إن كانت إحدى أخواته في موقف أمل.
- خالد:
وهذا ما أفعله، وبمساعدة مروان شافاه الله وعافاه هو من يساعدني لأستعيد ثقتها مرة أخرى.
- أحمد:
كلها يومين، ومروان يغادر المستشفى بأذن الله، وأنا سأظهر لهم، وكأنِّي عائد الآن من السفر، أرجوك لا تخبر أحد بوجودي هنا.
لمْ يكملْ أحمد كلماته إذا بسهى تدق الباب، وتدخل:

- خالد:
نسيت أن أخبرك أن سهى تمَّ نقلها للعمل هنا كطبيبة في قسم الأطفال.
- ينظر له أحمد في غضب:
والآن تذكرت يا الله لذكائك، انسى ما قولته أختِ محقة للانفصال!
تقف سهى على الباب لا تصدق أنَّها ترى أخيها، فأسرعت عليه، واحتضنته قائلة:
متى جئت من السفر، وما بك وجهك شائب هكذا، أنت مريض، يجب أن يراك الطبيب حالًا.
يشعر خالد بالغيرة، ويهم بالحديث ثمَّ يهدأ من روعه قائلًا لنفسه:
أهدأ أنَّه أخاها، ولم تراه من مدة طويلة، تذكر يجب أن تغير من نفسك، حسنًا أصمت!
- أحمد: وهو يبتسم!
أختِ حبيبتي أمهلين الفرصة لأجيب على أسئلتك لحظة واحدة ، وجهى شائب من تعب الطريق، ولأنِّي وصلت للتو من المطار على هنا، وأنت كيف علمتي بما حدث لمروان؟!
- سهى: تنظر لخالد قائلة:
أنَّه من أخبرني بذلك.

- خالد: يبتسم ابتسامه بلهاء قائلًا:
حدث، ونسيت أيضًا أن أخبرك.
- أحمد :
يا لله منك، أتتذكر من أنا، أمْ نسيت!
يستيقظ مروان ليرى سهى، وخالد، وأحمد بجانبه فيتسأل:
ماذا حدث، وأين أنا؟
فيخبره أحمد بما حدث، وأن زميلته ووالده هم من أخبروا بوجوده هنا، وهم من نقلوه إلى هنا.
- مروان:
وأين ذهبت حنين؟
احمد أخبره بما اكتشفه، وأن حنين هي تلك البنت التي أخذت كُليته. . . . يتفاجئ مروان من ترتيبات القدر، ويقول:
يا لله سبحان الله، كثيرًا ما حاولت أن أتذكر أين رأيت والدها ولكني فشلت!
تدخل أمل، وفي يدها كثير من الأشياء، فيسرع أحمد ليحمل عنها، ووجهه يبتسم
- أمل:
السلام عليكم، شكرًا لك أستاذ أحمد، حمدًا لله على سلامتك أستاذ مروان!

- مروان:
لما كل هذه الأمتعة؟
- أمل:
أنَّه طعامك لقد أخبرنا الطبيب يجب أن تتناول غذاء جيد مع الراحة التامة حتى تشفى سريعًا.
- تنظر لأحمد قائلة:
لن أنساك، وأحضرت لك المكرونة.
تضع وجهها في الأرض على حياء، وتبدأ في إخراج الطعام.
- تتساءل سهى، من أنت؟
- أحمد يجيب بدلًا عنها قائلًا:
أستاذة أمل تعمل بالمزرعة، ومن أكفأ العاملين، وأكثرهم حرصًا، وأمانة.
ينظر خالد لسهى، وينظر كلاهما لمروان ثمَّ يبتسمون جميعًا ابتسامه تحمل فى طياتها المزاح.
- ثمَّ يتحدث مروان قائلا:
دعها تتحدث عن نفسها، كفاك إحراج لها.
سهى:
أهلا بكِ يا أمل، أنا سهى أخت أحمد.
- نطق خالد بسرعة قائلًا: -وزوجتي-.

- نظرت له سهى بغضب قائلة يقصد:
زوجته السابقة.
- أمل:
أي شخص يترك تلك الجوهرة؟
- سهى:
هذا الأبله!
- خالد:
-أنا أبله حقًا؛ لأنِّي فقدتك، وفقدت حبك لي، والآن يعاقبني الله بغيابك عني.
ثمَّ يتحرك باتجاهها، ويمسك بيدها، ويقبلها قائلًا:
سامحني، ودعينا نبدأ من جديد.
فاجئ الجميع بتصرفه ذلك، تركت سهى يده، ونظرت له بحنين وشوق وحيرة قائلة:
لا، لن أثق بك مرة أخرى.
- أمل:
أعذرني أختِ نحن بنات مثل بعضنا أنت تحبيه واضح جدًا من نظرتك له والحنين والدموع في عينك.
تلك الجملة التي أحيت الأمل بقلب خالد فنظر لسهى قائلًا:
أنا أيضًا أعشقك، وتعلمت من خطأي سامحني أرجوك!

- أمل:
أنَّه صادق، وأنت تعلمي ذلك أنظري لدموعه، لا يبكي الرجل إلَّا وأن ضاقت به السبل، عزيزتي المرأة تحتاج إلى قلب يحبها بإخلاص شخص يحنو عليها لا تفقدي حبه لكي لا نجد الحب الصادق بتلك السهولة التي نفرط فيه بها.
تلك الجملة التي هزت قلب أحمد، وأيقظت حب سهى لخالد، وذكرت مروان بحبه لندى.
سهى تمسح لخالد دموعه قائلة:
لقد اشتاقت إليك كثيرًا!
- يحتضنها خالد بقوة قائلا:
لقد اشتقت لكي حد الجنون!
- مروان مازحًا معهم:
يا قوم نحن هنا، من فضلك يا أستاذ ابتعد قليلًا ما زالت أجنبي عنها فليست حلالك، من فضلك يا أنسة أنا، وأخوك هنا.
يطلقون الضحكات بصوت مرتفع، ثمَّ تستأذن أمل بالرحيل فقال أحمد:
لما، انتظر وأصحبك للمنزل، واذهب لمنزل مروان أطمئن والدته، وأحضر له بعض الملابس.
- أمل:
شكرًا لك سأذهب الآن من أجل أطفالي لم يتنولوا الطعام بعد،

سأؤتي غدًا للاطمئنان عليك أستاذ مروان.
وقعت كلمة أطفالها على سهى، وخالد بدهشة فقد ظنوا أن أحمد يكن لها مشاعر حب فانتظرت حتى غادرت أمل، وقالت: شخصية جميلة أمل، يا لا الحظ فكرت فيها لك يا أحمد ؛ خصيصًا بعد ما لاحظت اهتمامك بها، لكنها متزوجة.

- أحمد:

وما المانع أن أتزوجها؟

- خالد:

تتزوجها، وهي متزوجة كيف؟!

- مروان:

مطلقة، ومعها طفلين.

- سهى:

يا الله أنَّها جميلة ما شاء الله، وشخصيتها رائعة يا لِحظها السيء!

- أحمد:

ولما لا تقولي أنَّه حظي الرائع، أنَّها تكون نصيبي.

- سهى:

مستحيل، أنت تمزح أليس كذلك؟

مروان، وخالد، وأحمد ينظرون لها بدهشة!

- أحمد:

وما المستحيل في ذلك، أنتِ بنفسك الآن شهدتي لها بحسن الخلق

والجمال، أنتِ نفسك مررت بتجربة الطلاق.
- سهى في غضب:
وما زالت عند رأي بها، ولكن ليس لدي طفلين، مسؤولية عليك.
- أحمد:
وأنا أستطيع تحملها سأعتبرهم أبنائي.
- مروان:
سها غضبك غير مبرر لما كل هذا التحول ضدها؟!
- سهى:
-وما الذي يجبرك على الارتباط بها، اختر من تشاء من البنات.
- خالد:
-سهى حبيبتي، انظر لها أن الله يعوضها بأخيك، ويعوض الطفلين من حرمانهم من الأب لما هذه القسوة ضدهم، طفلين عزيزتي الأطفال أحباب الله، وأحمد سينال ثواب عظيم لتربيتهم.
- سهى:
إن كانت سعادتك معها فليبارك لك الله!، هي توافق على الزواج,
- مروان:
أنَّه لم يعرض عليها الـمر بعد، وهي لا أعتقد أنَّها ستوافق فهي تحيا من أجل أطفالها فقط.
ذهب كل من خالد، وسهى لمنازلهم، ولتخبر سهى والدتها بعودة أحمد وتصالحها مع خالد لتجد والدتها تطير فرحًا قائلة:

حمدًا لك يا الله لقد تقبلت دعائي!
بينما يجلس أحمد، ومروان يتسامرون تدخل والدته، وإبراهيم والقلق على وجهها فقد أخبرتها أمل بما حدث، ولكنَّها أخبرته أنَّه بخير حتى لا تثير فزعها، ولكن والدته لمْ تطمئنْ إلَّا حين أن رأته أمامها.
مر يومين، وخرج مروان من المستشفى، وعاد للمنزل ليجد ندى في انتظاره، فكانت على تواصل مع أحمد تطمئن عليه من خلاله خشيت أن تحضر المستشفى فحسام خطيبها السابق يعمل هناك، فينظر لها مروان مبتسمًا قائلًا:
شكرًا لكِ.
فقد أخبره أحمد باطمئنانها عليه، وأنَّها ما زالت تحبه فكانت كالمجنونة عندما علمت بالحادثة، ربما فعلته ندى معه أنساها انتظاره لحنين أنت تسأل عنه، أو زيارتها له في المستشفى ؛من المؤكد أنَّها تراه شخص ابتاع نفسه من أجل المال، وفقد احترامه في عينها.
ذهب أحمد لمنزله، وأخبره والدته أن لن يسافر مرة أخرى وأنه سيعمل مع مروان مِمَّا أدخل السرور في قلبها، وأخبرها بأمر أمل، وتفاجئ برد فعلها فقد رحبت جدًا بها على العكس من رد فعل سهى

- أحمد قائلًا:

يا أمي إنَّها ترفض الزواج من أجل أطفالها، وأنا أخشى أن أتحدث معها سترفضني حتمًا، ولن أستطيع أن أراها بعدها، فكيف سأعمل معها في مكان واحد.

- والدة أحمد:

غدًا سنحتفل بعودة سهى، وخالد ليعلم أهل القرية أنَّها عادت لزوجها، أحضرها إلى هنا هي ومروان، وأخيه ووالدته، وأنا سأحدثها في الأمر، وكلمة مني وكلمة من والدة مروان، وسنقنعها بأمر الله، والله يجازينا خيرًا على تربية طفلين في حكم الأيتام يجلسون معي يأنسون وحشتي وأرعاهم، ويرعوني، وأنتم في المزرعة، ونكون لها عوضًا عن أهلها.

- أحمد:

أنت أفضل أم في الدنيا، بارك الله لي فيكِ يا أمي!

يجلس مروان ووالدته وإبراهيم، وندى وأمل بجانب أحمد ويباركون له فتأخذ والدة أحمد والدة مروان، ويتحدثون بمفردهم وتسألها عن أمل وأخلاقها ورأيها بها.

- والدة مروان:

ليت كل البنات مثلها، فتاة شريفة حرة تكسب مالها من عملها تأبى أن يتصدق عليها أحد تحيا من أجل أبنائها، تمنيت كثيرًا أن تكون ابنتي.

- والدة أحمد:
وما رأيك أن زوجتها لأحمد؟
- والدة مروان: والفرحة ترتسم على وجها:
خير ما فعلتي ستنال ثواب عظيم، لقد فكرت أن أخذها لمروان، ولكن مروان يحب ندى، واللاحظ أن الأمور قد عادت لسابق عهدها، أحمد ـ ومروان أخوة بارك الله لأحمد بها!
- والدة أحمد:
إذا ستساعدينني أن نقنعها بالأمر الآن .
تخرج والدة مروان لتحضر أمل فوجدتها تفرق الحلوى على الضيوف، فأعطت الحلوى لمريم أخت سهى تكمل هي بدلًا من أمل، وأصحبتها إلى الداخل، وجلست هي ووالدة مروان وأمل يتحدثون في أمور عادية، وسألتها والدة مروان عن رأيها فى أحمد فابتسمت أمل، وتحدثت عن شهامته ومزاحه الدائم، أخبرتها والدة أحمد بأنَّها تطلبها لابنها، فالتزمت أمل الصمت من هول المفاجأة لا تصدق هذا أحمد المثقف المتعلم سيتزوج فتاة مطلقة، ومعها طفلين، فقالت والدة مروان:
وأطفالك هم أولاده سيراعى الله فيهم، وسيحيون معك، ليس هناك داعي للقلق، ابنتي تعلمي كم أحبك، وأتمنى لكي الخير فكري في الأمر بهدوء، ونحن في انتظار رأيك، وأحضري أطفالك معك المزرعة يتعاملون مع أحمد ويتعلقون به لا تحرميهم أن

يكون لهم أب فكري جيدًا، والآن اذهبي للخارج افرحي معهم.
خرجت أمل، ولا تصدق أن الله سيعوضها بأحمد، وتقول في نفسها:
وما أجمل من ذلك عوض!
تنظر إلى أحمد، ووجنتيها تشتعل حمرة من الخجل، وهو ينظر إليها بنظرة تحمل الحب واللهفة، فيعلم أنَّهم أخبروها بالأمر.
مر أسبوعين، ومروان، وإبراهيم ينتظرون نتيجة الثانوية العامة وأحمد ينتظر رد أمل على طلبه للزواج منها وندى ومروان علاقتهم تقترب خطوة بخطوة، ولكنَّه لمْ يفصحْ عن مشاعره بعد، وأحمد ومروان ينفذون فكرة تحويل المزرعة لمكان سياحي يحمل ملامح الريف الأصيلة بجوه البديع التي فقدتها القرية نتيجة الزحف العمراني.
ونفذوا فكرة السوق الخاص بمنتجتهم، والأمر ينجح، ويفكر إبراهيم في بناء مصنع كبير ليعمل به كل أهل القرية، ويصبح هناك منتج محلي يصدر للخارج يحلمون بالعالمية.
أحمد ومروان وندى وإبراهيم يجلسون أمام الإنترنت يبحثون عن نتيجة الثانوية العامة تنظر ندى للشاشة، وتقرأ اسم إبراهيم رباعي، وتصرخ قائلة:
الأول على الثانوية العامة، أخي الأول على الجمهورية!
يصرخ أحمد ومروان من الفرحة وإبراهيم لا يصدق لقد عوضه

الله عمَّا رأه في حياته هذه اللحظة لا يتساوى بها أي تعب فهذه لحظة النجاح التي طالما حلم بها.

تذهب ندى مسرعة:

أمي أمي إبراهيم الأول على الجمهورية فتطلق والدة مروان الزغاريد من شدة الفرح، وتسرع على إبراهيم تحتضنه بقوة، وتبكي في حضنه قائلة:

لقد عوضتني عن مرارة الأيام وقساوتها، وحققت حلمك، وحلم أباك!

- مروان: لندى.

يا وجه الخير أنتِ ثمَّ احتضنها قائلًا: تتجوزيني!

ندى، والجميع تفاجأوا حتى ندى التي بكت من الفرحة، وحركت رأسها بالموافقة، وابتعدت عنه خجلًا، بينما تدخل أمل، والتي جاءت لتطمئن فيخبرها إبراهيم لتحتضن والدته مباركة لها فتقول لها والدته:

ألم يحن الوقت بعد، انظري له كيف ينظر لكي الطفي بحاله، ولا تتركيه هكذا.

- تنظر أمل لأحمد قائلة:

كيف حالك؟

ثمَّ تنظر لمروان وندى منسجمين معًا كأنهم بمفردهم فوق سحاب العشق، وتبتسم قائلة:

ما رأيك أن نفعل مثلهم؟
- أحمد:
موافقة، قبلتي بي زوج أليس كذلك؟
- أمل: في خجل شديد!
نعم، لو ما زالت عند رأيك.
مر شهر على هذا اليوم قدم به إبراهيم أوراقه في كلية الطب كما يحلم، والآن يطمح أن ينهي الدراسة ثمَّ يبني أكبر مستشفى في مصر للعلاج بالمجان، ومصنع لإنتاج الأدوية بمصر بالمواصفات العالمية، وبأقل الأسعار حتى يستطيع غير القادرين على تلقي العلاج، وهذا أبسط حقوقهم كأدميين.
وتقدم مروان لخطبة ندى، والذي فاجأه برفضه قائلًا:
يا بنى أنا أب، وأنت تعلم أن ندى سبقت خطبتها، وأساءت الاختيار فلا أريد لابنتي أنت تعيد الخطأ مرتين، خاصة أنَّها من الممكن أن يكون ما زال بداخلها مشاعر تجاه حسام.
- مروان:
عمي أتفهم قلق حضرتك، ولكنى أعدك أني لن أخذلها أبدا، وأنا واثق من مشاعر ندى تجاه حسام أنَّه مجرد ماضي أليم لا تريد تذكره حتى. . . . .
- والد ندى:
ومن أين أتت بتلك الثقة؟!

- مروان:

ندى شخصيًّا أكدت لي ذلك، وهى ليست بتلك الشخصية تنسى تجربة مؤلمة بتجربة جديدة، ندى أرقى من ذلك.

- والد ندى:

تحبها؟!

- مروان:

يتصبب عرقًا، وتتلعثم الكلمات خجلًا قائلًا:

عمى لا أريد أن أكذب عليك، أمنحني الثقة لأخبرك الحقيقة.

- والد ندى:

تفضل يا بني سأتفهم الأمر.

- مروان:

أنا، وندى كانت تجمعنا علاقة حب منذ أيام الكلية، و. . . . .

يقطع حديثه والد ندى قائلًا في غضب:

هل استمرت تلك العلاقة في وجود حسام؟!

- مروان:

لا مستحيل انتهت علاقتنا منذ أن تقدم حسام لخطبتها، وأنا تركت الجامعة، وانقطعت العلاقة منذ ذاك الحين.

- والدها:

-تقصد أنَّك تخليت عن ابنتي وقتها، وجرحت قلبها!، وأنت هنا الآن تطلب مني أن أعطيك فرصة أخرى لتستكمل ما فشلت فيه

مسبقًا؟!
- مروان:
حضرتك أساءت فهمي، لذلك ترددت قبل أن أخبرك، تمهل قليلًا، ومنحنى فرصة أوضح لك الأمر.
- والدها:
توضح ماذا؟! لقد سبق، وتسببت في إيزائها، كيف أستطيع ائْتَمَنَكَ عليها؟!
- مروان:
لا أنكر أني أخطأت في حقها، وفى حق نفسي، ولكن وقتها الأمور كانت سيئة للغاية، لم أملك حتى قوت يومي، أبي كان يصارع الموت لمْ يكنْ لمستقبلي صورة واضحة غير الظلام، لمْ يكنْ من اليسير أن أتركها لغيري أن أتخيلها زوجة رجل آخر، لمْ يكنْ من السهل أن أحلم، وغيري يحقق أحلامي، خبر خطبتها كان يقتلني بالبطء، كنت أتابعها من بعيد وكل مرة أرى صورهم سويًّا وهي تبتسم وكأنَّها نست حبي لها أفقد صوابي، وأجن، أنا أخطأت، وتركتها له، ولكن كنت الظروف جميعها ضدي،حتى ندى تعلقت به أبهرها بحبه لها جعلها تنسى حبي لها، لا ألقي عليها باللوم فأنا السبب في ما حدث!
خانته دموعه ليجد والدها يقف بجواره، ويحتضنه قائلًا:
لهذا الحد تحبها؟!

- مروان:
لقد ابتعت جسدي لأخلص من حياتي بدونها، وأنقذ عائلتي من هون الفقر.
- والد ندى:
ابتعت جسدك؟! ماذا تعني!؟
- مروان:
لقد ابتعت كليتي مقابل مبلغ من المال لأنقذ حياة أبي، ولكن الله أخذ وديعته، وتعرضت لغيبوبة لمدة طويلة، وعندما استردت وعي وجدت إبراهيم أخي وفقه الله ابتداء مشروع الدواجن بتعبه وجهده، ووصلنا لما نحن الآن، وأكملت دراستي، والمتبقي من مبلغ الكُلى جعلته وديعه في البنك باسم أبناء أمل، وهي فتاة مطلقة جعلت المال لأطفال لأحميهم من الفقر حتى لا يقعوا في خطيئاتي، هذا الحقيقة باختصار، والآن لحضرتك مطلق الحرية بالرفض، أو الموافقة.
- والد ندى:
أترك لي مساحة من الوقت أفكر، واستشير ندى ووالدتها.
- مروان:
لك متسع الوقت، في انتظار مكالمة حضرتك، الآن يجب أن أرحل.
غادر مروان منزل ندى، ويدور في رأسه الكثير من التساؤلات، وأهمها هل هو يحب ندى حقا؟ وندى هل تفكر في حسام كما

قال والدها ؟! وإن كان يحب ندى، فما تفسير شعوره تجاه حنين؟ قال بصوت منخفض حنين أين هي؟! ابنة المستشار علاقة كتب لها النهاية قبل البداية فكيف خيل لي ذلك، يا سخرية القدر، ندى هي الأنسب لي أول حب في حياتي عانت الكثير بسببي وحسام مجرد ذكرى سيئة في حياتها، وحتى وإن تعلقت به طبيعي، ولكنَّها طوت صفحة الماضي، وتأكدت من نبل مشاعرها تجاهي أدعو الله أن يتقبلني أباها.

- والد ندى: يتحدث مع ندى قائلًا:

ابنتي مروان أخبرني بالأمر، والآن لأنا أنصت لكِ أخبريني ما الأمر؟

- ندى:

أبي الحقيقة أنا، ومروان تجمعنا علاقة حب، وهو يريدني في حلال الله، وأتمنى لا تحرم قلوبنا من بعضها.

- والدها:

همي الوحيد في هذه الحياة هو سعادتك، ولكني أراكِ تخطيئ، ويجب أن أمنعك.

- ندى:

مروان أصبح شخص آخر تجربته بدلت شخصيته صدقني، لن أسمح لنفسي أن أخطأ، أو أتأذى مرة أخرى يكفى ما عنيت منه، لا تقلق تأكدت من صدق مشاعري تجاهه!

- والد ندى:

هذا كلامك الأخير، إذا يا ابنتي لا أستطيع معارضة سعادتك.
ثمَّ يحتضنها قائلًا:
هاتفي مروان، وأخبريه أن يأتي بوالدته، وأخيه غدًا لنقرأ الفاتحة، ونحدد ميعاد العرس.
- ندى:
أنت أعظم أب في الوجود، وسر قوتي.
الأب: هو سر قوة ابنته أول بطل في حياتها، وبطل حكايتها ومصدر قوتها.
يستعد مروان وندى وأحمد وأمل للعرس فقرروا أن يتزوجوا جميعًا فى نفس اليوم، وفي نفس اليوم افتتاح مشروعهم الجديد.
البهجة والسرور تطغوا على المكان، ومروان وندى يتراقصوا سويًّا وأحمد وأمل والجميع تغمره السعادة تقف والدة مروان تنظر على أبنائها قائلة:
شكرًا لك يا الله لقد عوضتني خيرًا، أحفظ لي أبنائي، أفتقدك كثيرًا تلك الفرحة ينقصها وجودك. . .
ثمَّ تنظر بجوارها لتتخيل والد مروان يقف بجانبها، والابتسامة ترتسم شفتيه، ووجهه الساطع البياض.
عندما تصل إلى عمق النجاح ستكتشف أنَّه الإصرار في القوة في وجودك، ونجاحك، والصعاب التي نمر بها هي سر نجاحنا، وليست سر فشلنا ما علينا سوى استعمالها لصالحنا، فلكل نهاية

ناجحة بداية مؤلمة، فلنتقبل الألم ونستعد للنجاح، ستكون سعيد حقًا عندما تحقق النجاح دون التخلي عن مبادئك، فالنجاح يحققه فقط الذين يواصلون المحاولة بنظرة إيجابية للأمور، الذين يسعون لاكتشاف، وتطوير ذاتهم في الحياة رحلة يجب أن نسعد بها، ونسعى للاستمتاع بها فلنحيا سعداء مستمتعين بالحياة، ونجاحها حتى متاعب الحياة يجب أن نستغلها لصالحنا، ونستمتع بها، فالخوف وهم والوجع وهم في الصعاب، والمتاعب هي وقودنا نحو النجاح فشعور النجاح يستحق الجهد، فاليأس يجعلنا أموات على قيد الحياة، فلا تمت قبل موتك.

((واجه مخاوفك تسد))

تمت بحمد الله

مسار
للنشر و التوزيع
Massar publishing & Distribution

01020439639